

وجيه ابو ذكري

شباب في دائرة الموت

الدمون يعرفون



# شباب في دائرة الموت المدمنون يعترفون

وجيه أبو ذكري

حقوق الطبع والتأليف محفوظة

الطبع الأول  
م ١٤١٠ - هـ ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

لماذا ؟

لماذا كتاب كامل عن تراجيديا المخدرات ؟

لماذا ؟

لماذا مشقة لقاء البحث عن المدمنين في المستشفيات وأقسام الشرطة والسجون  
وغرف الإعدام ؟

لماذا ؟

لماذا مشاركة رجال الشرطة في حملاتهم ضد تجار المخدرات ، في الحواري الضيقة  
وتوقع تبادل اطلاق الرصاص ؟

لماذا ؟

لماذا المخاطرة في الذهاب حيث أوكر المخدرات والمدمنين الخطيرة والقذرة ؟

لماذا ؟

لماذا التواجد في موقع الجرائم الجديدة البشعة على مجتمعنا المؤمن المسالم ، تلك  
الجرائم التي قلبت موازين قوانين الطبيعة ، بل والقوانين السماوية ذاتها وناموس الحياة ؟

لماذا ؟ .. والمكتبة العربية عامرة بعشرات الكتب عن المخدرات ، وكلها تتحدث –  
علمياً – عن خطورة المخدرات .

الم يكن يكفى بحث علمى - من خلال عشرات الكتب - عن خطورة المخدرات ، بدلًا من العجازفة والباحث في موقع الإيمان .

\*\*\*

والجواب باختصار شديد : أن حجم مشكلة الإيمان لا يتصورها أحد ، إن حجمها فاق كل تخيل ، إن خطة صهيونية محكمة وذكية تستهدف مصر ، بل ومعها الأمة العربية ، وتلتهم هذه الخطة أعز ما تملك مصر ، وأعز ما تملكه مصر هو شبابها . إن أعداء مصر وأعداء الأمة العربية يجدون في استنباط أنواع جديدة من المخدرات ، قذائف عالية المفعول ، دقة في إصابة الهدف ، فاطلقواها لإصابة قلب الأمة ، إن حرب المخدرات التي يجب أن تخوضها بكل الأسلحة هي أبشع بمراحل من حرب الجراثيم ، فحرب الجراثيم - رغم تحريمها وبشاعتها - محددة بزمن معين هو زمن الحرب ، ومكان معين هو ساحة القتال ، ولكن في حرب المخدرات فإن الزمان هنا لا ينتهي ، والمكان هنا أمة باشرها ، والهدف هو قلب هذه الأمة . فتصوروا أمة كاملة يفرق شبابها في بحور الإيمان .

\*\*\*

لقد دفعت ثمنا غاليا في سبيل إعداد هذا الكتاب ، حتى كدت أدفع حياتي ثمنا لإعداده .

كنت ألتقي - مثلا - بالضحية ، أو مريض الإيمان ، وأراه - دون الإيمان - أملا لمصر ، وفخرًا لها ، وبعد الإيمان قد نمر حياته ، ونمر أسرته ، ودخل دائرة الموت المحقق .

كنت أنتقى - مثلا - بشاب أمن فارتكب جريمة قتل بشعة لا أخلاقية ، وهو يجلس في غرفة انتظار تنفيذ حكم الاعدام ، فإذا به شاب كان نافعاً لمجتمعه قبل الإيمان ، ولكنه بعد الإيمان أصبح معولاً يهدم كل جميل في هذا المجتمع .

كنت أنتقى - مثلا - بطبيب شاب ، سقط في كمين الإيمان ، يبحث عن طوق نجاة للخروج من يم المخدرات فلا يقوى على الإمساك بطوق النجاة . وإذا به يفرق ويموت .

\*\*\*

شاب في عمر الزهور يغرقون سراً .

شاب لم يبحث عن المواد المخدرة ، بل هي التي تطرق بابه ويشدة وتلح عليه إلحاحاً .

ليس سراً أن المخدرات أصبحت متوفرة في كل موقع الشباب ، في الجامعات ، في المدارس ، في الأندية ، حتى في الساحات الشعبية .

وليس سراً أن المخدرات قد طالت لأول مرة المرأة ، فأصبحنا نسمع عن المرأة المدمنة ، والمرأة هي أم رجال المستقبل ، فتخيلوا أمهات المستقبل مدمنات !!!

تحت شعار جرب مرة واحدة ، سقط في كمين الإيمان الشباب والفتيات ، بهذه التجربة هي الخطوة الأولى في طريق الإيمان ، فهي أشبه بتجربة الانتحار ، وبعد تجربة المخدرات الأولى ، يصعب بعدها الفرار من المخدرات .

\*\*\*

## لماذا كتاب تراجيدي عن المدمنين ؟

لأن الإيمان ، يدفع بالشاب الظاهر ، إلى حالة من الجنون لا يستطيع أن يفرق بين أمه وبين بغر ، وبين أبيه وبين عدو لدود ، وبين أخيه وبين حيوان يريد أن يفترسه ، لهذا سمعنا عن كل الجرائم البشعة التي تملأ أعمدة الصحف هذه الأيام ، ثم تذهب ، دون وقفة لمعرفة الأسباب التي تؤدي بتعلم اغتصب تلميذته الصبية ، ولا لمعرفة دوافع شاب يقتل أمه .

لقد دفع الإيمان بالمدمنين إلى كل آبار الرذيلة السخيفة ، وانتزع منهم الضمير والتقاليد والمبادئ والقيم ، وحولهم إلى وحوش كاسرة لا رادع لهم ولا دين .

لقد بحثت عن رقم يصور العلاقة بين الإجرام والإيمان ، فوجدت أن سبعين في المائة من جرائم السرقة والقتل والاغتصاب بسبب الإيمان .

إذن .. الإيمان وراء خطة ماكراة لتحويل المجتمع إلى غابة ، يسود فيها تجارة المخدرات .

\*\*\*

## لماذا كتاب تراجيدي عن المدمنين ؟

إن مصر مستهدفة في اقتصادها .. لكن تتوقف كل أنواع التنمية .. فكانت خطة القضاء على الاقتصاد المصري بعدة وسائل :

الأولى : الإرهاب .

وهو يعطى قوى كثيرة لمواجهته ، ويحتاج إلى أموال طائلة لحسمه ، وهو في النهاية

استنزاف لقوى الشعب واقتصاده ودفعه إلى ترك قضايا هامة كقضية التنمية .

القروض : وهى نوع خطير من الاستعمار الجديد ، واضعاف الاقتصاد القومى ، حيث تتعاظم القروض ، حتى تصل أقساطها إلى حد يفوق القروض الجديدة ، ومعنى ذلك أن الإنتاج كله ، أو نسبة كبيرة منه تذهب تسديداً لأقساط الديون ، حتى يأتي اليوم ، الذى نجد فيه المجتمع كله يعمل لحساب تسديد الديون فقط .

توظيف الأموال : وهو خطة جهنمية لوقف مشاركة مدخرات المصريين فى الداخل والخارج فى تنمية بلدتهم .

ثم ..

الإنمان : وهو فى تصورى أخطر من كل القضايا السابقة .. لماذا ؟  
لأن توظيف الأموال يمكن وقفه بقانون مهما كانت الآثار السلبية المؤقتة على الاقتصاد .

ولأن القروض .. يمكن للحكومة أن تعد خطة تتوقف عن قبول القروض .. أو قبولها بشروط ميسرة جدا .. بحيث لا تستنزف الاقتصاد .

والإرهاب .. لأنه يشكل خطورة على الأمن السياسى ، ولأنه واضح وضوح الشمس ..  
فإن التوعية وأجهزة الشرطة يمكن أن تحسم مع الإرهاب المعركة .

ولكن ..

الإنمان يشبه الأخطبوط .. فإنه يحطم المجتمع بالكامل ، والدليل على أن الآفيون

حطم ذات مرة شعباً كاملاً .. هو الشعب الصيني .. وكان الاستعمار البريطاني هو الذي يقف وراء دفع الشعب الصيني كله إلى إيمان الأفيون .. ولو لا ماو .. ما أفاق الشعب من الإيمان .. ولو لا إيمانه لما تمكنت بريطانيا من السيطرة عليه .. ولما تمكنت من استنزاف كل خيراته ..

تجربة بريطانيا في الصين .. تحدث الآن .. لا في مصر وحدها بل في كل أنحاء الأمة العربية ، فالمحاولة هي استنزاف كل موارد هذه الأمة ..

تعالوا نقرأ الأرقام ..

الديون العالمية العدبية بها مصر تقدر بنحو أربعين ملياراً من الدولارات ..  
هذه الديون .. تستنزف الكثير من إنتاج مصر ودخلها لدفعه أقساطاً سنوية لهذه الديون ..

والبالغ التي تنفق على المخدرات سنوياً حوالي عشرين مليار دولار ، حسب تقدير الباحثة الدكتورة ..... أى أننا ننفق في العام الواحد نصف كل الديون التي اقترضناها على مدى سنوات طويلة ماضية ، أى أننا لو استطعنا القضاء على تجارة المخدرات ، فإننا حفظنا لمصر عشرين مليار دولار سنوياً ..

\*\*\*

لماذا كتاب عن المدمنين والمخدرات ؟

في السنوات العشر الماضية ، تتحدث كثيراً عن الفساد ، وأحياناً يرى اليساريون أن

سبب انتشار الفساد هو تجربة الانفتاح الاقتصادي التي بدأها السادات، وعلقوا «قضية الفساد» على مشجب الانفتاح الاقتصادي واستراحوا . في الوقت الذي توّكّد فيه الأرقام الرسمية أن سياسة الانفتاح هذه أتاحت فرص عمل سنوية لحوالى خمسة وستين في المائة من الخريجين .

إذن .. ما هي أسباب الفساد ؟

لامبالفة في قولى هذا .. إن السبب الرئيسى للفساد فى أية دولة هو «مافيا المخدرات» .. فلكل تصل المخدرات إلى «المستهلك» لابد أن تجد مسؤولاً فاسداً ، وحارساً فاسداً ، وقاضياً فاسداً ، ولو لا هذا الفساد ، لما وصلت المخدرات إلى المستهلك . إذن لابد لمافيا المخدرات أن تخلق هذه العناصر الفاسدة ، حتى يمكن لهم ترويج بضاعتهم السامة .

تعالوا نتحدث بصراحة .. فالامر خطير .

تعالوا نتحدث بصراحة .. ونسمى الأسماء بمسمياتها .

\*\*\*

مافيا التعويضات في وطني ، تتجه إلى أن تتحول إلى حكومة قوية داخل البلاد ، فهي تشكل في انشغال الحكومة بقضايا هامة ، دون اعتبار أن قضية المخدرات هي – الآن وليس غداً – أهم قضية .

تعالوا .. نقترب من حكومة مافيا المخدرات ..

إذا كانت حكومة مصر تعامل في ستين ملياراً من الجنيهات ، فإن حكومة مافيا

## المخدرات تتعامل في عشرين مليارا من الدولارات ، أى أن الأرقام تتقارب !! فمليارات مafia المخدرات .. ماذا يمكن أن تفعله في المجتمع ؟

في أمريكا اللاتينية ، في بلاد إنتاج المخدرات ، فإن تجار المخدرات هم الذين يشكلون الحكومة ، بما لديهم من نفوذ وقوة ، لذلك ، هناك استحالة في القضاء على إنتاج المخدرات ، وأصبحت قوتهم أشبه بالأساطير ، فإن من يقف في وجههم ، سواء من الصحفيين ، أو رجال الشرطة ، أو القضاة ، أو الجمارك ، فما أسهل أن تجد جثته ملقاة في الشارع .. والفاعل مجهول .

وفي مصر .. هناك محاولات للوصول ب Mafia المخدرات إلى حكومة قوية .

\*\*\*

قلت : تعالوا نتحدث بصرامة فالامر خطير .

يتحدثون في مصر عن ضابط العباخت الكبير ، الذي ضبط مخدرات قيمتها خمسة ملايين جنيه ، وفي المحضر أثبت أن قيمة المخدرات المضبوطة تقدر بـ مليون جنيه فقط ، وقد أدين هذا الضابط ، وخرج من الخدمة ، ومات بعد خروجه بقليل .

\*\*\*

في بولاق ، حيث توجد مؤسستان اعلاميتان عملاقتان هما أخبار اليوم والأهرام ، توجد أوكار تجارة المخدرات ، وعندما فشلت الشرطة في القضاء على هذه الأوكار ، قام الأهالى بتجربة فريدة .. أن يقاوموا بأنفسهم تجار المخدرات .. وقاموا بتمرد على هؤلاء التجار

أطلقوا على هذا التمرد « ثورة الحجارة » .. حيث قاموا بإلقاء الحجارة على التجار .. وعلى كل مدمٍ يدخل حارة « الجيار » التي بدأت فيها التجربة .. ولكن : جاءت إلى مكتب واحد من زعيمات هذا التمرد .. تبدي لى تخوفها من فشل التجربة .. لأن « صبيان » تجار المخدرات يذهبون إلى قسم الشرطة .. حيث يجدون المساندة .

كيف ؟

تححدث عن حفل زفاف تكلف أكثر من خمسين ألف جنيه لأحد ضباط الشرطة .. فى أحد الفنادق .. على نفقة تاجر مخدرات .. وأموال أخرى ترك على أثراها الضابط عمله فى الشرطة !!

\*\*\*

يتحدثون في مصر .. عن وكيل النائب العام الذى حاول تهريب اثنين - غير مصريين - تم ضبطهما وفى حوزتهما مخدرات ، وحاول الرجل المسؤول تهريبهما من مطار القاهرة الدولى نظير مبلغ كبير .. وقد تم ضبطه بشكل درامى مفرز .  
يتحدثون عن عضو مجلس الشعب الذى يتاجر فى المخدرات ، ولم تتمكن أجهزة مكافحة المخدرات من رفع الحصانة عنه ، وكان من المهم أن يضبط متلبساً ، حتى يتم وقایة المجتمع من سموه ، وقد تم ضبطه متلبساً .

\*\*\*

يتحدثون في إدارة مكافحة المخدرات عن اثنين فى مؤسسة تشريعية ، تحوم حولهما شبهة تجارة المخدرات وخاصة تجارة الهيروين .

يتتحدث المستشار عادل صدقى ، رئيس محكمة الجنایات السابق إلى جريدة « الأخبار » ويقول كلاماً خطيراً عن المخدرات فى مصر .. إنه أصدر حكماً بالإعدام على ثمانية عشر من تجار المخدرات ، وقد أدى ذلك إلى تراجع تجار المخدرات ، إلا أنه لا يعلم حتى الآن لماذا لم يتم تنفيذ هذه الأحكام !!

\*\*\*

إذن .. مafia المخدرات تتسلل إلى موقع خطيرة .

إلى الشرطة التى تكافح هذه السموم .

إلى القضاء الذى يستطع أن يقضى على هذه المؤسسات القاتلة للشعب .

إلى مجلس الشعب حيث الحصانة والتشريع .

ربما لم تجد هذه العصابات موقع قدم فى هذه الواقع الخطيرة ، وربما وجدت -  
ولا أحد يدرى مدى إنجازهم الشيطانى فى هذا الطريق .

\*\*\*

يتحدثون عن المعلم الكبير « رئيس المafia » ، ويحددون بعض ملامحه ، وهو رجل خطير ، له علاقات قوية بكتاب المسؤولين ، وكان فى قمة السلطة ، ولم يعد الآن كذلك . ولكن ب ملياراته يملك سلطة نافذة ، ويحاول أن يفسد قمة المجتمع ، حتى يتمكن من خلال فساد القمة أن يدخل كل أنواع السموم فى مصر .

\*\*\*

**والآن .. ما هو الحل ؟**

لقد قدمت نماذج في هذا الكتاب عن هؤلاء الشباب الذين دخلوا دائرة الموت عن طريق المخدرات ، وذلك محاولة من لوضع القضية أمام أصحاب القرار بحجمها الخطير ، لكن تتحرك كل الأجهزة في حرب شاملة ضد تجارة المخدرات والتي تستهدف دفع مصر ، بل والأمة العربية كلها في دائرة الموت .

والحل .. هو إعدام كل من له صلة بهذه التجارة الكافرة الفاسدة المفسدة .

الإعدام .. لزارع المخدرات .

الإعدام .. لممنتج المخدرات .

الإعدام .. للمتستر على تجارة المخدرات .

الإعدام .. لတاجر المخدرات .

الإعدام .. لمهرب المخدرات .

الإعدام .. لمعاطي المخدرات بعد فترة سماح لعلاجه .. وإذا رفض العلاج ، فلا بد من إعدامه .

\*\*\*

**لماذا الإعدام ؟**

لأن في الإعدام رحمة بالمجتمع .

قال لى الدكتور مصطفى المنيلاوي .. إن مريض السرطان لکى يشفى من هذا المرض ..  
ولكيلا يموت .. لا بد من بتر موقع السرطان فى الجسم .. لحماية بقية أعضاء جسد  
المريض .. ولكن يعيش .. البعض قد يرى في البتر قسوة .. ولكن في البتر رحمة .. حتى  
لا تترك الخلايا السرطانية تنتشر في الجسم كله فتنتهي .

\*\*\*

في الحرب العالمية الثانية .. طلب ستالين تجنييد كل الشباب الذين يعملون جبارة في  
القطارات والأتوبيسات .. والمترو .. وطلب وضع صندوق على باب كل مركبة يضع المواطن  
السوفيتى أجرة ركوبه في هذا الصندوق ، فقال المستشارون .. لن يدفع مواطن سوفيتى  
واحد الأجر .

فقال ستالين: من يضبط .. يعدم .

قالوا : قسوة من ستالين .. كيف يعدم مواطن لأنه ركب مركبة عامة بالمجان .

وبدأت التجربة .. وتم ضبط ثلاثة ركبو المركبة دون وضع الأجرة في الصندوق .. وتم  
إعدامهم. ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم أصبح المواطن سوفيتى يحرص أشد الحرص على  
دفع أجرة ركوبه في الصندوق الذي تطور فيما بعد .

وكتب ستالين ملابس الشباب للقوات المسلحة .

وكتب ستالين الحرب من هتلر .

وأحد الأسباب هو ذلك القرار الذى يبدو فى أول الأمر قاسيا .. ولكن فى النهاية هو

رحمة بكل المجتمع .  
في أيديها المشرعون .  
ويا رجال القانون ..

إعدموا هؤلاء الذين يريدون دفع المجتمع كله إلى دائرة الموت .

وجيه أبو نكرى  
١٩٨٩ يناير

## ( ١ )

لا أدرى من أين أبدأ ..

ولكن .. تلح على دائمًا أن أبدأ من حيث كانت بداية الطريق إلى النهاية .. فهذا اليوم لا أستطيع أن أنساه .. هو كالأمس فقط، رغم مرور عدة سنوات عليه .. قد تصل إلى ثمانى سنوات .. في هذا اليوم ، لم أكن أعلم ما هو الهيروين ؟ .. وما هي خطورته ؟ .. وإلى أين يأخذ الإنسان ؟ .. لا أعرف شيئاً عن ذلك المسحوق اللعين ..

لقد كنت في مدينة اسطنبول .. وفي أحد فنادقها الفاخرة جاءتني فتاة تركية .. وقدمت لي هذا المسحوق .. وطلبت مني أن أستنشقه – كالنشوق – وقالت لي :

– سوف يجعلك كالفراشة ..

لم أكن أعلم خطورة ما أفعل .. أخذت المسحوق .. وفعلت كما طلبت مني .. ولا أدرى هل أصبحت كالفراشة أو الحمار ! .. ثم أعطتني كيساً به هذا المسحوق لاستعمله وقتما أحتاجه ..

ومن هنا .. بدأت الكارثة .. ومنذ تلك اللحظة وأنا أسير في درب الفشل .. فالموت .. فلقد تمكّن مني هذا المسحوق .. ولم أعد قادرًا على مقاومته ..

\*\*\*

أنا .. شاب من أسرة مصرية فقيرة .. والدّي مزارع بسيط في محافظة المنوفية .. ولدي سبعة أخوة .. وحيانا الله بوالد لا يعرف للعطاء حدوداً .. وأم .. لا تعرف للحنان نهاية .. ونحن أخوة نعيش تحت مظلة من الأمان والحب والعطاء .. لا مشاكل إلا مع الفقر .. وعندنا معه معاهدة تعايش .. هو لا يقسّ علينا .. ويجربنا إلى كوارث قد تحتاج إلى مئات لا

# نملها .. ونحن لا نطلب منه أن يرحل عنا

وكانت ثمار مظلة الحنان ضابط شرطة .. هو شقيقى الأكبر .. وأنا .. أعمل مضيقاً  
بإحدى شركات الطيران العربية .. وطبيباً هو أخي الأصغر .. وأربع زوجات عظيمات هن بقية  
إخوتي ..

\*\*\*

أخى ضابط الشرطة يؤدى الصلاة ، يحفظ القرآن ، اعتبره قدوة لى ، أحبه وأخافه  
وأحترمه .

وعندما تزوج شقيقى القدوة ، أحبيب شقيقة زوجة أخي وتزوجتها .

وكانت الزوجة من بيت طيب .. والدها رجل من أعلام الفقهاء فى الدين الإسلامى ..  
لذلك كنت سعيداً بزوجتى الفاضلة المؤمنة .

وقام والدتها بتأثيث بيت الزوجية .. تأثيثاً فاخراً .. وكانت هوايتي أنأشترى ، بكل ما  
معى من مال ، التحف من كل عواصم العالم ، لهذه الزوجة المؤمنة الفاضلة .

وأصبح لدينا بيت جميل كالقصر .

وزادت سعادتنا مع قدوم طفلى الأول ..

ثم .. ازدحم البيت بمقدم ابنتى .. ولا أدرى .. لقد أحبيب هذه الطفلة حباً كبيراً .

كل هذا كان قبل لقاء اسطنبول الذى تحدثت عنه ..

وعشنا سنوات فى سعادة منقطعة النظير .

بل أضيف .. لم يكن سراً أننى استطعت ادخار عدة آلاف من الجنيهات ، أودعتها في  
البنك وديعة ، ورصدتتها لزواج طفلتى عندما تصبح شابة .. ويقدم إليها الشبان .. وأختار  
منهم من هو أصلح لها .

كانت أحلاماً رائعة .. عشت فيها أنا وزوجتى .. وزادتنا هذه الأحلام حباً وسعادة ..  
واستقراراً .

ثم كانت ليلة اسطنبول التى لا تنسى .

\*\*\*

بعد أن أخذت الجرعة من السم الأبيض .. لم أشعر .. ما إذا كنت فراشاً أو حماراً ..

ولكنى استيقظت من النوم .. واحساس رهيب بالكسيل .. وإرهاق شديد .. وبودى أن أنام حتى الموت .. ولكنى كنت مرتبطاً بموعد إقلاع الطائرة .. ولا أدري .. لماذا مدلت يدى إلى هذا المسحوق الملعون .. وتناولت منه جرعة .

أشعر الآن بالندم حتى نخاع عظامى .

لماذا لم ألق به من نافذة الفندق؟! .

آه ! .. لو فعلت ذلك .. لما حدث كل ما حدث لى ..

ولكن .. شيطان ملعون ، جعلنى أضع هذا المسحوق فى حقيقى وأطير به .

\*\*\*

فى اليوم الثانى ، وعندما استيقظت من النوم ، شعرت بحاجة شديدة إلى جرعة منه ، فأخذت واحدة .

وهكذا كنت أتعاطى جرعة يومية .. حتى انتهت الكمية التى كانت بحوزتى .

أثناء ذلك .. ومن خلال ما أسمع .. علمت أن هذا المسحوق الملعون إما كوكايين أو

هيروبين .

ثم جاء يوم واحد لم أتعاط فيه ..

أحسست بألم شديد فى كل مفاصلى .. وشعرت بضيق أشد من الألم .. ورغبة فى الانتخار .

أسرعت إلى إدارة الشركة .. وتمالكت نفسي .. وتمكنت من وضع اسمى فى هيئة الطائرة المتوجهة إلى اسطنبول .

لم أجد الفتاة فى اسطنبول .. ولكنى لم أجد صعوبة فى الحصول على هذا المسحوق .

تناولت هذه المرة جرعة كبيرة .. فلقد كنت أشعر أن جسدى فى حاجة إليه .

وفى طريق العودة ، والطائرة فوق السحب ، وأحد الركاب ينادينى ، لا أسمعه ، أو أسمعه ولا أشعر باهتمام أو اكتئاث لما يقول ، وتصادف مرور قائد الطائرة ، ونظر إلى ملية ، وقال :

— أنت مدمن؟ .

## فَرَلَدَتْ عَلَيْهِ :

– ما معنى مدمن ؟ وأى إدمان تتحدث عنه ؟ .

قال :

– هل تتناول مخدرات ؟ .

فنجيت ذلك بشدة .. وأخبرت القائد بأننى مريض بعض الشئ فلم أنم ليلة أمس من آلام مبرحة في معدنى ، واستدعى طبيب الفندق ، فأعطانى عدة أدوية حتى أتمكن من الوصول إلى الطائرة .

فصدقنى قائد الطائرة ، وطلب منى الجلوس في مقعدى ، وما إن جلست حتى رحت في نوم عميق .

استيقظت على وصول الطائرة أرض المطار .

وتمالكت نفسي ، ونزلت من الطائرة ، ولكن كلمة القائد ما زالت ترن في أذنى : « أنت مدمن ؟ » .. لأول مرة أدركت أننى دخلت دائرة الإدمان الخطيرة .

عُدت إلى البيت .. بعد أن حصلت على إجازة لمدة خمسة أيام من عملى .  
و قضيت اليوم الأول نائماً .

واستيقظت .. كانت ابنتى بجوارى .. وشعرت لحظتها بأننى أسرق منها السعادة .. وأننى لم أعد فخر لها .. قتلتني هذه الأحاسيس .. فقمت غاضباً .. وألقيت بالسم من النافذة .

وقررت التوقف تماماً عن تناول هذا السم ، وشعرت بالسعادة واحتضنت ابنتى الصغيرة ، وابتسمت فى وجه زوجتى الفاضلة ، وداعبت ابنتى ، وقررت الذهاب إلى الشركة ..  
ولكن .. لحظات وانتابنى الألم ..

وخرجت كالمحجون أبحث عن المسحوق الذى ألقيته فى الشارع فلم أجده .. وعدت إلى المنزل ، وارتديت ملابسى ، وذهبت إلى حارة ملاصقة لمبنى التليفزيون كنت قد سمعت عنها .. وأن فى هذه الحارة كل أنواع السموم .. ولكنه ليس بنقاء ما أشتريه من استنبول ..

والتحقت .. برجل .. سألنى دون أن أسأله :

— مازا تزيد ؟

— هيروين ..

ونظر إلى طويلاً .. نظر إلى وجهى .. ثم إلى عينى ..

— ياه ! .. أنت مدمن تماماً ..

وبقيت صامتاً .. وأخذ كل ما معى من مال واختفى ، ثم عاد بالسم الجديد ..

عدت إلى البيت .. وتناولت هذا السم .. فاختفى الألم ..

\*\*\*

أمر حدث في البيت لأول مرة أرهقنى .. نظرات الشك التي بدأت تلقيها زوجتى ..

قالت :

— لا يوجد مصروف في البيت ..

لم يكن معى مال إلا تلك الوديعة التي وضعتها لابنتى في البنك ، وأسرعت إلى البنك ، وحولتها إلى حساب جار ، وجئت للبيت بمصروفه .. ومكتننى ذلك أيضاً من الحصول على جرعاً ..

\*\*\*

ذات يوم .. كنت عائداً من رحلة .. وسألتني زوجتى :

— أين عاداتك .. أين الهدايا ؟ ..

وكان سؤالها له أكثر من معنى ..

وأثناء ذلك دق جرس الباب .. وإذا بشقيقى ضابط الشرطة يدخل متدفعاً ..

— هل أعطيت سيارتك لأحد ؟

— لا ..

— تذكر جيداً ..

— لماذا ؟

— إن المباحث قد التقطت رقم سيارتك أثناء مراقبتها لوكر من أوكر المخدرات وجاء في التقرير أن قائد السيارة قد اشتري هيروين ..

ومثلت الدهشة .. والنسيان .. وذكرت أنني فعلًا قد أعطيتها لصديق .. ولكن أشك أن يكون مدمنا.

نظرت إلى زوجتي نفس النظرة ، ثم قالت :

– في رأيي أنك تتمنى صديقك بأن يدخل إحدى المصادر للعلاج فيها .

\*\*\*

في طريقى إلى الطائرة .. تقدم إلى القائد .. وطلب منى عدم ركوب الطائرة .. ودهشت لذلك .. فأخبرنى أنه لا يشك فى كونى مدمنا .. وأن فى هذا خطراً على حياة الركاب ، حاولت أن أثور ، ولكنه قال لى إن الثورة ليست فى صالحك .. كل ما طلبه كابتن الطائرة أن أجنب الرحلات معه وهو لن يخبر أحداً بذلك .

أثناء عودتى من الطائرة إلى داخل مبنى المطار .. سألنى الكثير عن عدم الاشتراك فى الرحلة .. تعللت بأننى مريض .

بعد هذه الحادثة مباشرة .. تزامن اعتذارى عن رحلات كثيرة .. مع رفض قادة الطائرات دخولي الطائرة .

وفي أحد الأيام ، طلبنى رئيس الشركة .. وطلب منى أن أقدم استقالتى من العمل ، حاولت فى البداية معارضة هذا الطلب ، إلا إننى وجدت نفسي أمام اختيار صعب .. التحقيق معى بتهمة ركوب الطائرة وأنا فى حالة سيئة بسبب الإدمان ..

وقدمت استقالتى وخرجت ..

شعور غريب حدث لى .. لقد انهار منزلى ، أو هو على وشك الانهيار بسبب هذه الاستقالة .. وفضيحتى بين العاملين والأسرة .. ولكن كان شعورى باللامبالاة ..

أخذت سيارتنى ، واتجهت إلى « تاجرى المفضل » ، واحتربت منه كمية من الهيروين .. وذهبت إلى البيت قابلتني محبوبتى الصغيرة ، ترفع يديها لأاحتضنها .. ولكن مازلت فى حالة « اللامبالاة » .. فتركتها ودخلت غرفتى ، وبكت ابنتى ، ابنة الخامسة من عمرها ..

أغلقت الغرفة بالمفتاح .. وتناولت السم الأبيض .. ثم طرقت زوجتى باب الغرفة .. وفتحت لها الباب ..

– لماذا عدت مبكراً ؟ .

— لا أريد الآن أى أسئلة ..  
هل تسمع نصيحتى ؟ اذهب إلى طبيب ليعالجك .. واعلم أنى ساقف بجوارك حتى يتم  
الشفاء ..

— يعالجنى من ماذَا ؟ ..  
— من الإدمان ..

وثرت من هذا الاتهام ، وتحولت إلى وحش فى البيت ، يكسر كل شئ .. وولدى وابنتى  
بيكىآن .. والزوجة تنتظر إلى بالم شديد ..

وخرجت ، ركبت سيارى وذهبت إلى أحد المقاهى .. أنظر إلى المارة .. ولا أراهم ..  
يأتى النادل بكوب الشاى وراء الآخر .. وأحتسيه وأنا فى حالة ذهول أو غيبة .. ولكن لم  
أكن فى حالة ندم على الإطلاق ..

سرت ساعات .. لا أدرى ما إذا كانت كثيرة أو قليلة .. وعدت إلى البيت .. لا رغبة لي  
فى العودة .. ولكن لأن السم هناك .. وشعرت باحتياجى إليه .. .

\*\*\*

عندما فتحت باب البيت ، وجدت مفاجأة .. زوجتى وشقيقى ضابط الشرطة ، وشقيقى  
الأصغر الذى يعمل طيباً ، الكل فى وجوم ..

اجتمع للمحاكمة . زوجتى استدعت « مجلس العائلة » ..  
حاولت الترحيب بالشقيقين ، وجلست معهم ..  
ساد — فى البداية — صمت رهيب ، مزق هذا الصمت ضابط الشرطة ..  
— زوجتك تزيد الطلاق ..  
أونظرت إليها فأطرقت برأسها إلى الأرض ..  
وتحدىت الطبيب .. طلب منى أن أذهب معه إلى المستشفى الذى يعمل به .. وسألقى  
رعاية كاملة .. وسيتم العلاج بالمجان .. وستأتى زوجتك للإقامة معك .. وسيذهب الولدان  
إلى منزل شقيقنا الأكبر .. وتعود إلى بيتك وعملك مُعافى ..

ورفضت الاقتراح .. ورفضت « اتهامهم » لى بأنى مدمن ..  
وتحدىت زوجتى وهى تبكي .. تعرض تفانيها حتى أشفي ..  
وأتهمت الجميع بالجنون ..  
وطلبت من الشقيقين الخروج من البيت ..  
وقالت لهما زوجتى وهما يخرجان غاضبين :

- إنه لا يدرى ما يفعل .. إنه في حاجة إليكما .  
ولكن طردهما .

\*\*\*

لم يعد لي دخل أتفق منه على بيتي .. و كنت أسرق محتويات البيت وأبيعها ، وأشتري منها هذا المسحوق السام .. حيث احتاج جسمى - مع الأيام - إلى جرعات أكبر .. كم من مرة حاولت زوجتى منعى من بيع أثاث البيت فلم تتمكن .. وقبل أثاث البيت ، بعت السيارة ، وقبل السيارة ، أنفقت الوديعة !

واخذت زوجتى الولدين ، وخرجت ، ولا أعرف إلى أين ذهبت ، ولم أهتم بخروجها ، كما لم أهتم بالولدين .

وبقيت وحدي في البيت المهجور .  
ولم يعد - بعد خروج زوجتى - ما يمكن بيعه ..

كنت في حاجة ماسة إلى المال ، لأشتري هذا السم الذي تمكنت من بقايا جسدى ، لم يكن أمامي سوى التسول ، أو التجارة في المخدرات وفضلت التسول .

وفي اليوم الأول من بداية التسول ، وأمام واحد من محلات بيع المرطبات ، اتجهت إلى سيارة بداخلها رجل وامرأة .. ومددت يدي .. و كنت فعلافى شكل يرشى له .. ونظر إلى الرجل طويلا .. ثم طلب مني الانصراف .. تذكرت الرجل والفتاة .. إنه زميل لي في شركة الطيران ، وهذه زوجته ..

وتصورت أنه تعرف على شخصيتي .. وعدت إلى البيت المهجور ، وجلست وحدي ، وبكيت لأول مرة منذ أن عرفت الهيروين ، وقررت التوقف .. ولكن كيف ؟ .

كانت هذه المرة الأولى التي أقررت فيها التوقف منذ الليلة في اسطنبول .. حتى لحظة القرار في البيت المهجور.

ونزلت إلى بباب العمارة ، وطلبت منه عشرة جنيهات .. كانت هذه هي المرة الأولى التي أستددين فيها من الباب ، وكم أعطيته من قبل ، وأعطاني الرجل ما طلبه ، وذهبت إلى محطة الجبزة أسأل عن السيارات المتجهة إلى الوادى الجديد ، وأخذت مقعدي في السيارة ، وانطلقت إلى المجهول الجديد .

\*\*\*

الوادى الجديد منطقة منعزلة عن مصر . أسمع أنها خالية تماماً مع المخدرات .. اخترتها انطلاقاً من قول طارق بن زياد : « العدو أمامكم والبحر من خلفكم » .. أى لا مفر من الانتصار .

نزلت من السيارة جائعاً . متعطشاً بشدة إلى السم الأبيض أين أذهب ؟ .. لا أصدقاء ولا مال .

ذهبت إلى المسجد .. نظر إلى المصليون بعناية .. فأنا غريب في ديارهم . تقدم إلى شاب .. وسألني عن اسمى .. وسبب حضوري إلى هنا .  
قلت له :

ـ تعبت من زحام القاهرة .. جئت للعمل هنا .

ـ وماذا كنت تفعل في القاهرة ؟ .

ـ لا شئ يذكر .. ولكن قبل القاهرة كنت أعمل بالزراعة .

قلت هذا ، لأننى أعلم أن الوادى الجديد في حاجة إلى مزارعين . وأنا فعلاً . كان لي دراسة قديمة بالزراعة ، قبل أن يتوفى والدى وقبل أن أنتقل إلى القاهرة للدراسة والعمل . حيث كنت أساعد والدى فعلاً في الزراعة .

في بيت الله بالوادى الجديد .. كان لقائى بهذا الشاب ..

وفي بيت الله بالوادى الجديد .. كان لقائى بأول أمل ..

وفي بيت الله بالوادى الجديد .. بكى كثيراً .. بكى ندماً وتنورةً .

عرض على الشاب العمل معه في مزرعته ، فهو خريج كلية الزراعة جامعة أسيوط . رفض الوظيفة الحكومية ، والمدن المزدحمة ، وجاء إلى الوادى الجديد ، وقدم له محافظتها عشرين فدانًا .. تمكّن من استصلاحها وزراعتها . وهو في حاجة لمن يساعده ..

سألني عن الأجر .. قلت :

ـ كتاب الله ..

ولم يفهم .. قلت :

ـ لا أريد منك إلا أن تعطيني كتاب الله أقرأ فيه .. ومكاناً أبیث فيه .. وقليلًا من الغذاء يكفييني ..

ودهش الشاب .. ووافق فوراً على هذا الأجر .

\*\*\*

أصبح لى غرفة فى أرض هذا الشاب . وبيدى كتاب الله ، وأمامى أشجار فى حاجة إلى

رعاية وإلا تموت .. وفوق كل هذا .. هل سأتتمكن من الاستمرار بدون هذا السم ؟ .  
فى اليوم الأول :

أغلقت على الباب .. بعد أن ودعنى الشاب .. وما ان أغلقت الباب . حتى فتحت أبواب السجن لكل الآلام الحبيسة خجلا .. رانطلقت فى كل جسدى شعرى فيه .. وأنا حبيس صرخاتى .. وأمزق جسدى مأظفارى .. ولا تمهلنى الآلام لحظات أدعوه فيها الله أن ينقذنى .

مرت لحظات قليلة بين الجولة الأولى لانقضاض الآلام على جسدى الضعيف .. وبين الجولة الثانية .. تمكنت خلال هذه اللحظات من فتح كتاب الله أمامى ، والتلاوة من آياته الكريمة .. وكلما اشتد الألم . ارتفع صوتي وأنا أتلوا هذه الآيات .. وكان قلبي يدعو الله أن ينقذنى . وكانت دموعى التى تنهمر على خدى . وتنسابق كالرذاذ على صفحات المصحف الشريف . تتسلل إلى جسدى أن يتتحمل آلامه .

كنت أشعر أن جسدى ساحة معركة شرسه لا تهدأ أبدا .. وكنت أشعر أن مقاومتى سوف تخسر المعركة أمام الضربات القوية للألم .. وكلما جاء لى هذا الإحساس . ارتفع صوتي وأنا أتلوا آيات من الذكر الحكيم

لا أدرى .. كم استغرقت هذه المعركة ؟ .. ساعة .. ساعتين .. ثلات ساعات .. أم يوما كاملا وربما عدة أيام .. ورحت فى نوم عميق .

\*\*\*

استيقظت من نومى . أحسست أننى قادم من رحلة بعيدة . رحلة مخيبة من باطن الأرض . شاهدت خلالها وحوشا غريبة . كبيرة الحجم . لها عيون واسعة كبيرة ، وروعوس كثيرة تحملها رقبة واحدة . شاهدت حيوانات صغيرة مفزعة ومفترسة . كل هذا الجيش من تلك الوحوش يطاردنى خلال رحلة نومى .

لم يكن بالغرفة أحد ..

فتحت النافذة ، شاهدت الأرض ، والأشجار الخضراء ، وقفزت قليلا فى النافذة ، حاولت أن أستنشق هواء نقىأ لم يتلوث ، ولكن رئى لم تساعدانى ..

لم أشعر بالجوع ، لكنى أريد أن أشرب نهرا بكماله ، وجدت زجاجة بها ماء ، كان الماء ساخنا من حرارة الجو ، فشربت منه الكثير واستيقظت على السرير .. بعد لحظات قليلة تصببت عرقا ، وكان الماء الذى شربته قد فرم من مسامي توا .. عدت مرة أخرى إلى الماء وشربت منه الكثير ، وكأنى فى سباق مع العرق والماء ..

بعد ساعة .. جاء الشاب صاحب المزرعة . يحمل صينية عليها إفطار من إنتاج المزرعة .. كوب من اللبن . عدد من البيض . ونوعان من الجبن . وكمية من العسل . وأخبرنى الشاب بأننى قد أصبت بالحمى .. وأننى قضيت ثلاثة ليال فى الغرفة .. وأن طيباً ظل بجانبى خلال الأيام الثلاثة .. وأننى كنت أتصبب عرقاً كثيراً .. حتى إن الطبيب كان يخشى عليك أن تصاب بالجفاف . وأنه أعطانى محلولاً مائياً . حتى يبقى الماء فى جسدى . ولا يتحول بهذه السرعة الرهيبة إلى عرق .

وشكرت الشاب ..

وحاولت أن أتناول شيئاً مما حمله فلم أتمكن ..  
وسائله متى أبدأ العمل ؟ فرفض أن أعمل حتى تذهب علىنى .  
فسألته عن سر اهتمامه بي .. فقال لي إن شاباً يطلب كتاب الله أجراً لعمله . إلا يستحق كل رعاية . وقال إنه عندما يتم شفائي تماماً .. سوف أعمل .. وحاول أن يعرف الكثير عنى . ولكن لم أخبره بأكثر من كونى مزارعاً . أجيد القراءة والكتابة فقط .. وجلس معنى فترة من الزمن وخرج . وترك الصينية بما عليها . ورجانى أن أتناول شيئاً . فالحمى في حاجة إلى غذاء .

\*\*\*

بعد لحظات .. بدأت المعركة الشرسة .. بين مقاومة جسدى لاحتياجه للسم اللعين . وبين الآلام المبرحة التى تركها هذا السم ..  
وعدت إلى كتاب الله . أقرأ بصوت عالٍ . كلما اشتد الألم . وأنوسل إلى العلي القدير  
أن يوقف هذه الآلام .

وإذا بي أمام آية من كتابه العزيز ، توقفت عندها كثيراً . إن الآية الكريمة تقول :  
— « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كل من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك دللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون » صدق الله العظيم . ( ٦٨ - ٦٩ سورة النحل )

توقفت طويلاً عند هذه الآية ..  
حاولت بعد تلاوتها أن أعيش الألم .  
وذهبت إلى طبق العسل الموجود أمامى .. وأجبرت نفسي الرافضة على ضرورة تناوله .

تناولت كل العسل . أحسست بعدها بارتياح قليل ، وشربت الماء ، وعدت إلى كتاب الله .

وارثات في آياته عدة ساعات ، حتى جاء الشاب ، ومعه صينية أخرى للغذاء من إنتاج المزرعة . خضراوات مطبوخة ودجاجة مسلوقة . وفاكهه .

وغضب عندما رأى إفطارى لم أتناول منه غير العسل .  
قلت لصاحب المزرعة :

— أرجوك .. بدلاً من كل هذا .. أعطني طبقاً من العسل ، إنه علاجي ، وبعد شفائي  
سأتناول كل ما يقدم لي .  
قال :

— سأريك به .. وسأضع لك فيه بعضاً من غذاء الملكة .. ولكن على الأقل تناول  
الفاكهه .

تناولت الفاكهة على الرغم مني ، وكدت أعيدها من أحشائى . لو لا خجلى من هذا  
الشاب الطيب المؤمن .

\*\*\*

طلب مني الشاب أن أخرج من الغرفة ، وأسير قليلاً بين الأشجار . كل هذا والمعركة  
دائرة في داخل جسدي ، وأنا أكتم أنفاسى حتى لا يسمع أحد تلامح أسلحتها في داخلى .  
وخرجت تلبية لطلبه ، وسررت قليلاً ، وعدت متumba إلى غرفتي .

وعاد الشاب بكمية وفيرة من العسل .. وتركني وخرج .. وبدأت في تناوله ، وجدت  
صعوبة .. ولكن على الأقل أتناوله بما فيه من غذاء الملكة .. بعدها شعرت بحاجتي إلى  
النوم . والنوم أرحب به فهو يبعدنى عن شعورى بمعارك جسدى .

\*\*\*

مرة أخرى .. لا أدرى كم قضيت مع تلك الكوابيس التي تتلاحم واحداً وراء الآخر ..  
احسست أن « المسحوق اللعين » كشيطان في جسم الإنسان .. يخرج بصعوبة .. ولكن  
حقيقة أسعدتني .. إننى كرهت هذا المسحوق . وسوف أفضل الموت أو الانتحار على الإقدام  
عليه مرة أخرى . أمر آخر أسعدى وشجعني على مواصلة الرحلة الالمية . لقد تذكرت اليوم  
فقط طفلتى الجميلة التي أحببتها حباً جماً . تذكرت ابني الصغير . تذكرت زوجتى  
الفاضلة . تذكرت شقيقى ضابط الشرطة . وشقيقى الطبيب الشاب . تذكرت رحلة الكفاح  
الطويلة التي خضتها من القرية حتى مكانى فى طائرة فوق السحاب .

ووجدت صاحب المزرعة قد ترك لى طبقاً مليئاً بالعسل ، شربت الماء .. ولا أدرى ..  
ووجدتني أذهب إلى دورة المياه أتوضاً . وعدت إلى غرفتي لأصلى .. ولكن أية صلاة ؟ ..  
صلاة الفجر ، أم صلاة الظهر ، أم صلاة العصر . أنا لا أدرى الوقت . وصليت عدة ركعات  
متواصلة شكرأ الله خلال الصلاة حدثت هدنة بين القوات المتحاربة في جسدي – لا أدرى كم  
ركعة صلità ؟ ولكنني شعرت أن ذلك الشيطان الذي سكن في جسدي يستعد للرحيل ..  
تناولت العسل ، شربت الماء . وجلست أتلوا آيات من القرآن الكريم حتى أسدل الليل  
ستائره .

أديت صلاة العشاء . جلست أتلوا آيات من القرآن الكريم ، ثم واجهت امتحاناً صعباً ..  
لقد اشتدت الآلام في جسدي . كما لم تشتتد من قبل تملكتني رغبة ملحة في الصراخ  
والبكاء . دخلت معركة كتمان الصراخ . ولكن تركت دموعي بلا حواجز . وانتهت تلاوة  
القرآن ، من شدة الألم وبكيت ، وأجهشت في البكاء ، وأفرغت أنهاراً من الدموع ، وألعن  
الشيطان الكائن في جسدي . وأنوسل إليه أن يخرج . فقد هدنى تماماً ، ورحت في نوم  
عميق .

\*\*\*

ظل هذا الصراع ممتدأ لا يقل عن خمسة عشر يوماً ، بعدها خف الألم . وقل العرق .  
توقفت الدموع .

وطلبت من صاحب المزرعة أن أبدأ العمل .. ووافقت على ذلك .

كنت أستيقظ في الصباح الباكر ، أؤدي صلاة الفجر ، وأتناول العسل .. ثم أتلوا القرآن  
الكريم حتى تبزغ الشمس تماماً ، فأخرج إلى الحقل ، وأسقى الزرع ، أقلب التربة بالفأس ،  
أشق القنوات للمياه .. وعندما أصاب بالإرهاق أعود إلى غرفتي . وأنام .  
في البداية .. كنت أنام كثيراً .. ثم قل النوم رويداً رويداً .

وبعد عدة شهور ، أحسست أن الشيطان قد خرج تماماً من جسدي .  
جلست مع صاحب المزرعة . أروى له حكايتها .. وكانت مفاجأة لـ أنه كان يعلم من  
الطبيب أنني مدمـن ، وشعر أنني جئت للعلاج من الإدمـان .

بعد ستة أشهر .. أخذني صديقـي صاحب المزرعة إلى محافظـة الوادـي الجـديد . حيث  
حصلـت منه على عـشرـة أـفـدـنة ، عـلـى مـقـرـبة مـن أـرـض صـاحـب المـزـرـعـة ، وإـذـا بـصـاحـب المـزـرـعـة  
يعـطـيـنـيـ أـلـفـ جـنيـهـ لـأـبـدـاـ مـشـرـوـعـيـ الجـدـيد .. وـقـالـ إـنـ هـذـاـ أـجـرـكـ عـنـ الفـتـرـةـ السـابـقـةـ ..  
سـاعـدـتـنـيـ فـىـ إـلـاصـحـ الـأـرـضـ وـزـرـاعـتـهـ .

مرّ عام على استلام الأرض .. وقد شفيت تماماً .. وأصبح لدى بيت بلا أسرة .. وأرض

جديدة .. ومال وفيه ..

وعدت إلى القاهرة لأعيد أسرتي ، لقد ابتعدت عن هذا الشيطان .. وكانت أفكراً في مصير أسرتي ، في ابنتي الصغيرة ، في ابني ، تصورت أشياء كثيرة .. تصورت - مثلاً - أن زوجتي تمكنت من الحصول على الطلاق ، وتزوجت برجل آخر .. أرعبني هذا التصور .. وخشيت أن يحطمها هذا التصور لو تحول إلى واقع .. ولكن قلت لنفسي :  
- سأعود بابني وابنتي في هذا المكان النظيف الذي لم يتلوث ..

\*\*\*

ألم أقل لكم في بداية هذا الاعتراف .. إنني تزوجت امرأة فاضلة .  
لقد وجدت الزوجة تعيش مع والدها ، الرجل الطيب . وكانت في انتظارى . كانت متأكدة أننى سوف أشفى .. وسأعود قوياً متصرّاً .. وكان لقاء رائعاً بيني وبين أسرتي .  
ونحن في طريقنا إلى الأرض الجديدة .. سألتني زوجتي :  
- ماذا كان الدواء ؟ ..

قلت :

- كتاب الله ..

قالت :

- ونعم بالله ..

\*\*\*

هذه اعترافات كاملة ، لشاب قهر الгиروين ، في معركة شرسه ، استعان فيها بكتاب الله ، وشراب فيه شفاء للناس ، وعزيمة لا تلين ، وقرار لا عودة فيه .

\*\*\*

إذا زرت الوادي الجديد ، فستجد مزرعة مورقة أشجارها كثيرة ثمارها .. بداخلها صبي وصبية يلعبان ويمرحان بسعادة .. وفتاة جميلة ترعى هذه الأسرة .. وشاب أسمر يعمل بجد وقوة وصحة وسعادة .. فتمثل لهذه الأسرة السعادة .. فهي تستحق التقدير .. فكل فرد فيها دخل معركة شرسه وانتصر فيها ..

\*\*\*

## ( ٢ )

قام ستة من الشباب المتعطلين بارتكاب جريمة اغتصاب في حى المعادى الهدائى بطريقة وحشية . هزت ضمير الأمة من الأعماق . فيما عرفت فيما بعد بجريمة فتاة المعادى ، وكما هزت ضمير الأمة . فقد هزتني من الأعماق ، وطالبت فى عدة مقالات عنيفة وقاسية بإعدام هؤلاء الذئاب ، الذين اعتدوا على تلك الفتاة البريئة ، وكانت وجهة نظرى أن عقوبة الإعدام وحدها كفيلة بالقضاء على هذه الظاهرة . وتصدىت يومها لفلاسفة التبرير بأن هذه الجريمة لها دوافع اجتماعية أخرى منها أزمة الإسكان وتكلفة الزواج . وارتفاع الأسعار . لم يقتعنى سبب واحد من هذه الأسباب ، يدفع بشاب أن يمسك فتاة بريئة وتحت تهديد السلاح . وأمام خطيبها . ويعتدى عليها . ثم يتركها لزميله وزميله يتركها لآخر وهكذا .

بدأت محاكمة الذئاب البشرية . وجاء تقرير الطب الشرعى مفاجأة مذهلة لا تفسير لها . فإن الفتاة رغم اعتداء ستة ذئاب بشريه عليها ، فإنها ظلت عذراء .

وحمدت الأمة ربها ، أن صان الفتاة رغم وحشية هذه الذئاب !!

وقد توجت هذه الحملة الإعلامية بصورة حكم بإعدام هؤلاء القتلة .

وارتاح وجдан الأمة .

وتم تنفيذ حكم الإعدام في بعض منهم .

ونشرت صورهم في الصحف .

وتصورت أن الحكم وتنفيذه سوف يكونان ردعًا قويًا لمن يفكر في الاعتداء على الفتاة . وعاشت كل فتاة لحظات أمان .

ولكن ....

بعد فترة من الزمن ، أقرأ ، وأسمع عن حوادث اغتصاب وحشية ، وصلت إلى حد

الاعتداء على أطفال لا يتجاوز عمر الطفلة منهم سبع سنوات ..  
فأية رغبة جامحة تلك التي يمكن أن يدفع الذئب حياته ثمنا لها ؟!  
لا أنكر أنتي احسست بإحباط شديد ..  
إذن .. ما هو الرادع ..؟؟

وشغلتني هذه القضية فترة طويلة من الزمن . حتى جاء لزيارتى زميل مدرسة ، ورئيس محكمة جنائيات ، وببدأنا الحديث عن أمور الدنيا ، وقضايا المجتمع . ثم جاء ذكر قضية الاغتصاب .

قال الرجل : قرأت كل ما كتبت .. ولكنك حتى الآن لم تمس القاعدة التي تنطلق من فوقها معظم الجرائم . خاصة الجرائم الوحشية ، والجرائم التي لا يعرفها المجتمع من قبل . كالاغتصاب ، والسرقة بالإكراه ، وقتل الوالدين ، أو أحدهما ، والاحتيال والنصب . كل هذه الجرائم تنطلق من قاعدة واحدة هي : الإدمان !! .

وبدأ الرجل يروى مأساة عززت أمامه ، وأصدر بشأنها حكما بلا سند من القانون ، فإن المشرع عندما وضع القانون ، رغم أنه استمد مواده من الشريعة الإسلامية ، فإنه لم يتصور وجود إنسان ما يخرق قوانين الطبيعة ، ويرتكب مثل هذه الجريمة .

\*\*\*

كتمت أنفاسي وأنا أستمع إلى التفاصيل المثيرة لهذه القضية أو المأساة .  
وعالوا نستمع إلى قضية العصر .

\*\*\*

قاعة المحكمة مليئة بجمهور الحاضرين على غير العادة ، وفي قفص الاتهام سيدة في الخمسين من عمرها . على وجهها قهر الدنيا . وبجوارها سيدة في الثلاثين من عمرها . هي ابنتها . وكل جمهور القاعة ضد السيدتين . فإن السيدة قد قتلت ابنها بمشاركة ابنتها . أى أن الأم والشقيقة قد قتلتا الولد .

وسألتها القاضي :

ـ لماذا قتلت ابنك ..؟

ـ ولم ترد .

ثم سأل القاضي ابنتها :

- لماذا قتلت شقيقك ؟ .

- إذا أجبت أمي فسوف أحبيب على المسؤول .

وحاول القاضى أن يكون عنيفاً مع الأم حتى تستثير المحكمة . وتصدر حكماً عادلاً فى هذه القضية الغريبة ، وفي نفس الوقت فإن المحامى العام يطالب بإعدام هذه السيدة وابنتها .

- أنت متهمة بقتل ابنك مع سبق الإصرار والترصد .

وسكنت الأم .. وواصل القاضى :

- إن العقوبة هي الإعدام .

ورفضت الإجابة على أي سؤال .. كما رفضت ابنتها أيضاً الإجابة على أي سؤال .

واختار القاضى .. لماذا يفعل فى صمت هذه السيدة وابنتها ؟ .

فى حجرة المداولة ، رفض القاضى رئيس المحكمة أن يصدر حكماً مهماً كانت عقوبته دون أن يسمع هذه الأم ، وإلا كان هذا إخلالاً بالعدالة . قال القاضى لمعاونيه : إننى أشعر أن هذه المرأة إلى حد كبير فاضلة ، وأن هناك أسباباً قد دفعتها إلى ارتكاب هذه الجريمة ، إذا كانت قد ارتكبت فعلًا جريمة .

وعاد إلى أوراق التحقيقات ، ووجدها معترفة ، سواء فى تحقیقات الشرطة أو النيابة ، أنها قتلت ابنتها ، عندما وجدت أنه يستحق الإعدام ، وحفرت صحن دارها ودفنت الجثة فى الدار بعد أن مزقتها بالسکين هى وابنتها .

وأثناء قراءة رئيس المحكمة لهذه الأوراق ، وجد أن الشرطة قد توصلت إلى الأم وابنتها عندما تحدثت طفلة فى العاشرة من عمرها بأن جدتتها وأمها قاتلتها خالها وأبلغ الناس الشرطة بما سمعوه من الطفلة .

ووجد رئيس المحكمة أن حل لغز هذه القضية يكمن فى استدراجه الطفلة .

وخرج رئيس المحكمة وأعلن تأجيل القضية واستدعاء الطفلة لكي تدلّى بشهادتها .

\*\*\*

حرص رئيس المحكمة أن يستمع للطفلة بعيداً عن قاعة المحكمة ، بكل ما فيها من رهبة وخوف وضجيج ، ووقف اتهام بداخله أنها .. وكانت الجلسة شبه سرية فى غرفة المداولة ، وأمر القاضى حاجب المحكمة أن يأتى للطفلة بكرسى تجلس عليه ، وكوب من الشراب البارد . ثم بدأ يداعبها فترة غير قصيرة ، تحدث معها عن المدرسة . واستطاع أن

يستخرج من جسدها النحيل كل القلق والخوف ، وأن بعيد بصعوبة الابتسامة إليها .. ثم بدأ  
 يسألها عن خالها ..  
 - لم أكن أحبه !! .  
 - لماذا ؟ .  
 - لأنه كان يضرب جدتي .  
 - كان يريد مالاً .. ولم يكن مع جدتي مال .  
 - ماذا كانت تقول له جدتك ؟ .  
 - كانت دائمًا تقول له إنت مؤمن .. كلما تشااجرت معه تقول له يا مؤمن .  
 - مؤمن ؟ ! .  
 - نعم .. مؤمن .. وأحياناً تقول له إن الإيمان .. سينهيك .  
 - الإيمان ؟ .  
 - نعم .. وكنت في دهشة .. فأنا أعلم من المدرسة أن الإيمان كله عظمة ..  
 - يابنتي .. الإيمان أمر عظيم .. وجدتك كانت تقول له إنت مدمن .. وأن الإدمان  
 سينهيك ..  
 - صح .. وما معنى الإدمان ؟ .  
 - هذه قصة طويلة .. .

\*\*\*

وبدأت الطفلة تروى ليلة الجريمة .. بكلمات بسيطة ورعب شديد ..  
 كانت الجدة والابنة والحفيدة في غرفة نوم واحدة ، عندما دخل الحال ، وحاول أن  
 يوقيط الطفلة من النوم ، فاستيقظت الأم والجدة ، وذهبت الجدة مسرعة إلى المطبخ وجاءت  
 بسكينة كبيرة ، غرستها في ظهر الحال ، ثم أخرجتها . وغرستها مرة أخرى !! .  
 وبكت الطفلة الصغيرة وهي تروى ما شاهدته لرئيس المحكمة . واكتفى القاضي بهذا  
 القدر من الحديث مع الطفلة الصغيرة . ! !

\*\*\*

- محكمة !! .  
 ودخل رئيس المحكمة إلى القاعة بين وقوف كل من في القاعة . وجلس القاضي وهيئة  
 المحكمة ، فجلس الجميع .  
 وأعلن القاضي أن الجلسة سرية .. لا أحد في القاعة إلا المتهمين والدفاع فقط .  
 وخرج الجميع من القاعة ..

.. والتفت القاضى الى الام ..

ـ لماذا الصمت ؟ ..

ولم ترد ..

فقال رئيس المحكمة :

ـ أنا أحترم صمتك .. ولكن الآن .. لسنا في حاجة إلى هذا الصمت .. لم يعد أحد بالقاعة .. والقضية عرفت خطوطها العريضة .. ولا أريد منك المزيد .. وكل ما أريده أن تردى على سؤالى بكلمة واحدة .. نعم أم لا .. وهذا يكفينى ..

ـ ابنيك .. ألم يكن مدمنا ؟ ..

ـ نعم ..

ـ حشيش ؟ ..

ـ لا ..

ـ هيروبين ..

ـ نعم ..

ـ ألم يرهقك ماليا ؟

ـ نعم ..

ـ حاول اغتصاب حفيتك ؟

ـ نعم ..

ـ وأثارك هذا .. فجئت بالسكين وقتلته ..

ـ لا ..

بهذه الإجابة ، عادت الألغاز حول القضية ، إلا أن رئيس المحكمة كان طوبل النفس ..

وقد تسلطت عليه من البداية فكرة تقول : إن السيدة التى هى فى قفص الاتهام ليست قاتلة ، بل فاضلة ، وظل يحاورها حتى عرف منها الحقيقة .. كل الحقيقة ..

\*\*\*

مات زوجى ، وأنا فى ريعان شبابى ، فعشت لأبنتى ولابنى ، وكنت أضع فى ابنى الأمل والمستقبل ، وأنه سوف يعيتني فى كبرى ، وكنت فى حاجة إلى عائل للبيت .. فأقمت منه عائل دون مسئوليات العائل ، فالامر فى البيت أمره .. والمشرورة مشورته .. وكل دخلى - بلا مبالغة - له ..

كنت أتمناه ضابطا .. مهندسا .. طبيبا .. محاسبا .. وأقل شئ أن يكون مدرساً كوالده ..

لأن مهنة التدريس متعبة ، وكانت السبب فى توقف قلب زوجى وهو صغير وترك لى الطفلة ..

وكبر ما كان بالأمس طفلا .. وأصبح صبيا فاشلا تماماً في دراسته . وأصبح يدخن

بشراهة عندما بلغ من العمر خمسة عشر عاما .. وكان يطلب مني ثمن الدخان .. و كنت  
أعطيه كل ما يطلب .. فلقد كان حبي له بلا حدود .. وكم من مرة أحاول أن أساعده في  
استذكار دروسه .. إلا أن هناك كراهية في داخله للعلم والتعليم .. حاولت أن أعلمه حرفه ..  
رفض تماماً أن يتعلم آية حرفه .. وطوبت أحزاني بداخلى !!

تزوجت أخته .. وتركت لنا البيت  
وعشت سنوات مع الفشل الذي هو ابني .

\*\*\*

كبير الفشل في ابني .. أو كبر ابني على الفشل .  
وذات يوم .. دخلت عليه حجرته الخاصة .. وجدته - بكل جرأة وقسوة - يعطى لنفسه  
حقنة هيروين .

وثرت عليه .. وصرخت .. وبكيت خوفاً عليه .. فلقد كنت قد شاهدت في التليفزيون  
برنامجاً عن نهاية الهيرويين .. فأحسست أن ابني سوف يموت .

أثناء رعي .. وأثناء خوفى .. وأثناء صراخى .. خرج ابني المدمن .. وصفعني على  
وجهى .. نعم .. صفع أمه .. فانتزع بيده .. وفي لحظة واحدة كل سنوات الحب التي  
مضت .. وحاولت أن أمزقه .. ولكنه كان الأقوى .. والأقسى ..  
لست أنت أبني ..

فالذى أمامى هو حيوان مفترس ..  
الذى أمامى .. رجل فقد وعيه .. وعقله .. وكل قيمه ..  
وعشت حزينة .. فقد ضاع الأمل الأخير فيه ..  
ثم حدث تطور جديد خطير .

أصبح يأخذ ما معى من مال بالقوة .  
وأخذت أفكراً كثيرة في أمر ابني الذي أدمى .. والذى أفقد الإدمان عقله .. هل أبلغ  
عنه الشرطة ؟ .. هل أنتظر ربما أجد فرصة لأعيده إلى صوابه .. ماذًا أفعل ؟ .

وأثناء هذا التفكير ..  
دخل ابني وكنا في الثالثة صباحا ..  
واتجه إلى غرفتي ..  
وكان منظره بشعاً يثير الغثيان ..

ثقيل اللسان .. أصفر الوجه .. اختفت نضارته .. واحتفى معها بريق عينيه ..  
 قال كلاما لم أفهمه ..  
 لأول مرة أخاف من ابنتي ..  
 اقترب منى .. بلاوعي ..  
 مرق ثيابي ..  
 حاول الاعتداء على .. أمه ..  
 تمكنت من الإفلات من يديه .. وخرجت مذعورة من بيتي .. وجريت في الشوارع حتى  
 وصلت إلى بيت ابنتي .. أحمد الله أن أحدا لم يشاهدني بملابس الممزقة .. وطرقت باب  
 ابنتي بشدة .. ففتح الباب لى زوجها :  
 - ماذا حدث ؟ ..  
 واستيقظت ابنتي .. وبكت عندما شاهدت ملابسي ممزقة .. وأنما في حالة غاية في  
 السوء والتوتر .. ورويت لهم رواية كاذبة صدقوها .. قلت إن لصا جاء ليسرقني .. ولما  
 اعترضته .. مرق ثيابي . فردت ابنتي :  
 - وأخي ..  
 - لم يأت بعد ..  
 وقاما بتهديتني وحاولت أن أنام ولكن كيف ؟ ..  
 لن أتمكن من وصف مشاعري في تلك الليلة .. وما تلتها من ليال طويلة ..

\*\*\*

في الصباح خرج زوج زوج ابنتي إلى عمله فرويت لابنتي ما حدث من أخيها .. رويت لها بكل  
 صراحة .. فطلبت مني الإقامة معها ..  
 عشت معها شهرا .. ثم طلبت منها أن أعود إلى بيتي فربما يكون أبني قد مات من  
 حقنة هيروبين ، أو هاجر أو انتحر ..  
 أسفه .. لقد كانت هذه كل أمنياتي لابنى ..  
 وذهبنا إلى البيت .. أنا .. وابنتي .. وابنته ..  
 ووجدنا أن ابني قد باع الكثير من أغاث البيت ..  
 وفي الثالثة صباحا عاد .. كما عاد في المرة السابقة .. عاد هذه المرة ليحاول الاعتداء  
 الوحشى على الطفلة التي هي حفيديثى .. حاولنا أن نخلصها من يديه .. فلم نتمكن ..  
 فذهبت مسرعة إلى المطبخ .. وجئت بالسكين .. وغرسـتـ السـكـينـ فـيـ ظـهـرـهـ .. فـخـرـجـتـ منـ جـسـدـهـ نـافـورـةـ مـنـ الدـمـاءـ .. أـحـسـسـتـ بـهـسـتـيرـياـ شـدـيدـةـ .. وـلـاـ أـدـرـىـ كـمـ مـرـةـ أـخـرـجـتـ السـكـينـ

من جسده .. وطعنته بها حتى مات .

وأحسست أن العار قد مات . والفشل قد مات . والإدمان قد مات !!

ثم جلست بجوار الجثة أبكي من كان ابني ..  
سيدي القاضي ..

صدقني .. أنا القاتلة والقتيل ..

صدقني .. أنا الجروح .. والسكنين ..

صدقني .. لم أندم .. ولكنني متهرة .. فما كنت أتصور أن تكون النهاية .. هي تلك  
النهاية ..

٤٣٦٣٤

جلست أنا واستترت نفطر في أمر الجثة .. والفضيحة .. والحكومة ..

وكانت حفيديث طوال الوقت نائمة .. وترتعش خوفا .. هي لم تكن نائمة بالمعنى  
ال حقيقي للنوم .. ولكنها أغمست عينيها ..

وجاءت لا يتنى فكرة ..

نحن نسكن في الدور الأرضي من البيت .. ويمكن إخفاء الجثة داخل المتنز .. بعدها  
نشيع على الناس بأن « الابن » قد هاجر أو .. وأنترك البيت وأقيم لدى ابنتي حتى الموت ..

وفعلا .. رفعنا البلاط من الأرض .. وحفرنا قبرا له .. والقينا فيه الجثة .. وأعدنا كل  
شيء إلى ما كان عليه ..  
ولكن ..

بعد شهر من ارتكابي الجريمة .. جاءت الشرطة .. ووجدت الجثة .. فالطفلة روت ما  
شاهدته للناس .. والناس أبلغوا الشرطة ..

هذه هي روائي !! ..

\*\*\*

- محكمة ..

ودخل رئيس المحكمة .. ووقف الحاضرون .. وجلست هيئة المحكمة .. وببدأ القاضي في  
النطق بالحكم .. وساد صمت رهيب في القاعة .. وببدأ يتلو حيثيات الحكم .. ولهذه الأسباب  
حكمت المحكمة ببراءة المتهمة وابتتها ..

أسعدنى هذا الحكم سعادة غامرة .

ثم .. التقيت بالدكتور صالح ثابت .. أستاذ الأمراض النفسية .. كان الحديث عن تأثير الهايروجين جنسيا .. فهناك ادعاء بأنه منشط وهو – كما يقول الدكتور صالح ثابت – ادعاء كاذب ، إنه يسبب العجز . ولكنه يصور للمدمن أنه قادر . وان لديه الرغبة وهى رغبة كاذبة . فيتحول المدمن إلى وحش كاسر .. وفي نفس الوقت .. هو ضعيف جنسيا إلى أبعد الحدود .. والدليل على ذلك أن تلك الرغبة قد اتجهت نحو سيدة مقدسة بالنسبة له هى أمه . والدليل الآخر أن فتاة المعادى، ظلت عذراء رغم الاعتداء عليها من ستة ذئاب بشرية.

٣٣٣

## ( ٣ )

من أنا .. .

أنا فنان مصرى ، عرفت الفن وأنا في الرابعة عشرة من عمرى . وحفرت مستقبلى بأظفارى فى الصخر ، حتى أصبح لى اسم مرموق فى سماء الفن ، وفي السابعة والعشرين تزوجت سيدة فاضلة ، أحببتها وأحببتها بجنون ، كانت وما زالت ترکض خلفى فى استديوهات السينما والإذاعة والتليفزيون .

أنجبت طفلاً هو كل حياتى .. عشت كل السنوات الماضية أجمع له المال ، حتى وفرت له الكثير ، فلقد حرمت - من شدة الفقر - من المال والتعليم ، وعلى أيامى كان التعليم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالمال .. من هنا كان حرصى أن أقدم لابنى ما حرمنى القدر منه .

عندما بلغ ابني السادسة من عمره ، طلب والدى منى أن الحق الولد الوحيد لي بالمدارس الأزهرية ، كان يؤكد لى أن التربية الإسلامية وحدها تصور الإنسان من كل موبقات الحياة .. ولكن رفضت .. لماذا ؟

اسمحوا لى أن أعترف بصراحة .. أن أفتح قلبي .. كل والد يريد لابنه الهدایة .

الأفلام التى عملت فيها ، جعلتني أرفض الفكرة ، فخريج الأزهر الذى أراه فى أفلامنا السينمائية رجل يُنْهَىُ أى والد من أن يُلْحِقَ ابنه بكليات الأزهر ومعاهده ومدارسه .. ولم أكتشف أن مجموعة من الملحدين والشيوعيين والعنصريين فى السينما المصرية هى التى رسمت صورة رجل الدين ..

هذه الصورة يا سادة ، جعلتني أبحث لابنى ، وهو أملى وكل مستقبلى ، عن المدارس الأجنبية ، أو ما يطلق عليها : مدارس اللغات ، وكان ابني عبقرىا ، فعندما حصل على الثانوية

العامة ، كان يجيد ثلاًث لغات ، هي : الإيطالية والفرنسية بالإضافة إلى الانجليزية ، وطبعاً  
اللغة العربية .

\*\*\*

آه ! .. أتذكَرُ الآن يوم حصوله على الثانوية العامة ..

لقد أقْمِتْ له حفلًا في إحدى صالات الفندق الكبير ، تحدثت عنه الصحف لعدة أسابيع ،  
كان الحفل عَرْسًا لِي من جديد ، كان فرحاً لِي .. فلقد لمست لنفسي – في عقرية ابنى –  
مستقبلي .. كنت أشعر في هذا الحفل الذي حضره كل نجوم السينما والمجتمع والصحافة ،  
أنت أنا – المحروم من العلم والمعرفة – الذي قد حصلت على الدكتوراه ، فكنت أطير  
كالفراشة فرحاً بين المدعىين ، حتى نظرات الحقد والسخرية من البعض رأيتها في هذه  
الليلة ، نظرات حب وتقدير لي ، على مسيرتي الشاقة ، حتى جئت للبشرية بشاب عبقري  
طموح .

\*\*\*

بعد الحفل .. عدنا إلى البيت . غنيت لابنى .. بل رقصت له .. ثم جلسنا في الشرفة  
تداعينا نسمات الفجر المنعشة في يوليوا .

وسأله :

– أية كلية يا بني سوف تختار ؟

نعم .. فهو من القلائل الذين لهم حق الاختيار لمجموعه الكبير الذي حصل عليه  
في الثانوية العامة ، مما جعل كل الكليات ، وكل الجامعات تفتح أبوابها له .

قال :

– أريد الالتحاق بجامعة إيطالية .

ورقصت طرباً لطموحات ابنى ، فسوف يصبح « خواجه » مائة في المائة ، وصور  
لى ظلام عقلى أنه سوف يصبح أحسن من كل المصريين ، ووافقت على الفور ، فكل ما  
جمعته من مال له ، وكل نجاح أخطوه في ساحة الفن من أجله ، وهو لم يخذلني أبداً .

\*\*\*

\* يواصل الفنان المصرى اعترافاته ، وهو يبكي :

– وودعت ابنى في المطار بالدموع ، فهذه أول مرة في حياتى أودعه ، كان هو  
الذى يودعني ، وسوف نفترق شهوراً .

وعلمت أنه التحق بكلية الإدارة في روما .. ومن شدة شوقى إليه سافرت إليه فى العاصمة الإيطالية بعد رحيله بشهرين فقط ، وأول ما ذهبت ، ذهبت إلى المستشار الثقافى المصرى ، حيث كنت قد التقيت به فى حفل بالقاهرة ، وكم كان اللقاء حارا ، وكم كان اللقاء وديا ، ولأول مرة يعلم أن ابني يدرس فى روما ، وأخذنى بسيارته إلى الجامعة .

\*\*\*

لم أدخل جامعة مصرية أو أجنبية فى كل حياتى ، وعندما شاهدت الجامعة بطلابها ، شعرت أنتىأشاهد شيئاً رهيباً وعظيماً ، وشعرت برهبة ، فالطلاب كالملائكة ، فى عمر واحد ، بل ربما خيل لى أنهم شكل واحد ..

وبين هؤلاء كان ابني .. لم أره .. فالكل متشابهون .. ولكنه هو الذى رأى وارتدى بين أحضانى ، وقدمنه لصديقى المستشار .. وذهبنا معه إلى المدينة الجامعية ، حيث خصمت له الجامعة غرفة خاصة ، أسعدهىدخولى غرفته ، فلقد علق على حائطها صورة كبيرة لى ، كتب أسفلها جملة بالإيطالية ترجمتها لى المستشار :

— أبى .. حبى واحترامى .

ونظر ابني خجلا وهو يستمع إلى ترجمة المستشار .. واحتضنت ابني وأنا أبكي فرحاً وطرباً وحبـاً .

اتفقنا .. أن يكون ولى أمره فى إيطاليا مستشارنا الثقافى ، وأن يرعاه ، وكان المستشار شهماً .

وقضيت مع ابني فى إيطاليا أسبوعاً هو أحلى أيام عمرى .. وعدت إلى القاهرة سعيداً ، وقد أطمأن قلبى على وحيدى العجرى .

\*\*\*

رسائل ابني لم تنتقطع ، وبين فترة وأخرى تصلنى رسالة من صديقى المستشار .. حتى كان يوم ، جاءت رسالة غاضبة من المستشار .. تقول الرسالة :

— « علمت أن ابنك قد وقع فى غرام فتاة إيطالية ، زميلة له فى الجامعة ، وأخشى ان تعوقه عن مواصلة دروسه ». .

صدقونى .. لم أحزن .. بل أخذت هذه الرسالة .. وطررت بها فرحاً إلى أمه .. وأخبرتها بأن « الصغير أصبح رجلاً » .. واستطاع أن يتعرف على الإيطاليات .. وكانت أشعر فى قراره نفسى أن نساء العالم لن يتمكن من تعطيل ابني العجرى عن مواصلة نجاحه وتفوقه .

انتهى العام الدراسي .. وعاد ابني في الإجازة الصيفية .

وأثناء الإجازة حدث أمران :

الأول أسعدني .. وهو نجاح ابني .. وانتقاله إلى السنة الثانية .

الثاني أحزني .. وهو انتقال صديقي المستشار من روما إلى مكان آخر .

ذات يوم .. عدت بعد سهرة عمل في الخارج .. لأجد ابني يستمع إلى رسالة بإيطالية على الكاسيت في شرفة المنزل .. وداعبته :

— أنا أعرف ماذا تسمع ؟ إنها رسالة حب من فتاة إيطالية إليك أليس كذلك ؟ .

كان ابني خجولاً .. يحترمني إلى أبعد حدود الاحترام .. كل ما فعله أن نظر إلى الأرض .

قلت له إنني أعرف حكايته معها منذ أن بدأت .. ولا مانع عندي ، على الإطلاق ، أن يتزوجها حتى وهو طالب ، فعندي من المال ما يكفي للإنفاق عليه هو وزوجته في أي مكان من العالم ، والزواج في الغربية سوف يعصمه من كل الأخطاء .. وعرضت عليه الفكرة فرحب بها .. وطلبت منه أن يكتب لها بذلك .

\*\*\*

انتهت الإجازة الصيفية ، وكان قد أرسل لها بفكتى ووافقت عليها .. وسافرت معه وأنا أحمل معى عدة « ملابس من الليرات الإيطالية » .. والتقيت بالفتاة وبأسرتها ، هي على جانب كبير من الجمال ، من أسرة إيطالية أقل من المتوسطة ، واضح أنها أسرة مفككة ، لا عواطف بين أفرادها .

تم الزواج في السفارة المصرية .

واستأجرت لهما مسكنًا صغيراً قريباً من الجامعة .. وقامت بتأثيثه أثاثاً مريحاً . عدت إلى القاهرة غير مستريح لما فعلت ، فلقد كنت أتمنى لابنى فتاة من وطني ، وأقيم حفلة كبيرة يتناسب مع حجم حبى لابنى وشروطى التى جمعتها .

ولكن .. مadam هذا الأمر قد أسعد ابني .. فلا مانع ..

\*\*\*

استمر ابني وزوجته في دراستهما في إيطاليا خمس سنوات ، لم ينجبا خلالها ، فلقد اتبوا الوسائل العلمية في تحديد النسل .. وكم كان يسعدي أن أكون جداً ، ويتربكاً على ابنهما

فى القاهرة . ولكن حرمت من هذه السعادة .

عاد ابن وزوجته للإقامة فى القاهرة .

وكنت سعيداً بذلك ..

عرضت عليه أن يعمل فى وزارة الخارجية .. فكم تمنيت أن أرى ابني سفيرا ، فأنا أشاهد السفراء فى الأفلام التى عملت بها .. لهم المهابة والاحترام .

ولكنه رفض العمل بالحكومة .. وفضل أن يعمل لحسابه ..

وطلبت منه أن يفكر فى المشروع الذى يختاره .. ورأس المال الذى يريد ..

\*\*\*

عاد ابني بعد أسبوع بمشروع ضخم ، يكلف ثلاثة ملايين من الجنيهات ، لن أذكر لك اسم المشروع ، فهو واحد من المشاريع التى ولدت عملاقة وأصبح اسمها على كل لسان ، ثم ماتت بالسكتة القلبية .

لم يكن معى كل هذا المبلغ ، وأغراني حديث ابني عن أرباح هذا المشروع ، ودورة رأس المال السريعة ، وأن مستقبله كواحد من رجال الأعمال ، يتوقف على قيام هذا المشروع .  
قمت ببيع كل ما أملك ، واقتصرت من البنوك نصف المبلغ على الأقل بضمان أرض المشروع .. وبدأ العمل فى المشروع .

إحساس غامض انتابنى أثناء إقامة المشروع .. بأن ابني لم يكن متحمسا لهذا المشروع العلائق .. وفي نفس الوقت لم يكن مهتما الاهتمام الذى أعرفه عنه عندما يصمم على أمر .  
تعطل المشروع كثيرا .. وأنفقت الكثير من الأموال فى غير موقعها مما أدى بى إلى أن أستدين مرة أخرى ..

وفي هذا الوقت المظلم .. وضعت زوجة ابني طفلا جميلا .. كان هذا الطفل هو سعادتى ..

أقيم المشروع المدين .. وأعلنا فى كل وسائل الإعلام ، واستبشرت خيرا .  
ومضى عامان .. والمشروع لا يُدرّ أرباحا .. بينما إنتاجه فى كل الدنيا .  
ومطالبات البنك لتسديد الديون اشتدت عذفا وتهديدا .  
حتى كان يوم ..

وذهبت إلى منزل ابني .. طرقت بابه .. ففتحت لى الخادمة .. سألت عن ابني وزوجته ..

**فأشارت إلى إشارة لم أفهم معناها إلا بعد فوات الأوان ، بأنهما في غرفة النوم ..**

ال الطفل في الخارج يبكي بكاء مراً .. فحملته على كتفه ..

سمعت صراخاً في الداخل : إن ابني يصرخ ..

وضعت الطفل على أريكة وأسرعت إلى غرفة النوم .. وفتحت الباب ، وشاهدت مشهداً  
لم أفهم معناه إلا فيما بعد .

زوجة ابني تحمل « المحقق » .. وتبكى .. وهو يمد يده لها ويصرخ .. كان الاثنان  
يتحدثان بالإيطالية .

— ما هذا ؟ .

— لا شئ يا أبي .

— هل أنت مريض ؟ .

— قليلاً ..

— مازا بك ؟ .

— إرهاق ؟ .

— ما هذه الحقنة ؟ .

— فيتامينات .

— لا ترهق نفسك .

— حاضر .

طلبت منه أن يخرج لجلس في الصالون لتحدث في أمر المشروع ، وخرج وهو ينظر  
لزوجته شذرا .. وعاتبته في البداية على هذه النظرة إلى زوجته ، فأخبرني بأنها كسرت  
« أمبول » الفيتامين ، ولم يكن بالمنزل غيره ، وهو في حاجة ماسة إليه ، طلبت منه أن يرسل  
الشغالة إلى الصيدلية القريبة لتشتري غيره ، ولكنه رفض .

بدأت أتحدث عن المشروع ، وعن تهديدات البنك ، ولكن ابني لم يكن مدراكاً لما أقول ،  
وفجأة .. قفز من فوق الكرس الذى كان يجلس عليه .. وبدأ يصرخ .. ويتالم بقسوة ..  
ويشكو من عظامه .. ويتمن أن يموت أو ينتهى الألم ..

عشت الرعب كله .. أخذت ابني في أحضاني .. ولأول مرة يدفعني بعيداً عنه .. ثم  
يصرخ ويتألم .. وقال لي :

ـ أخرج .. واشترى هذا الدواء .. أنت تستطيع أن تأتى لي به ..

وكتب بيدي مرتعشة اسم دواء ..

وخرجت مذعوراً .. مسرعاً ..

وذهبت إلى الصيدلية القريبة .. ورحب بي الصيدلى .. ثم مددت له يدي بالورقة ..

ـ لمن هذا؟ ..

ـ لأبني ..

ـ ابتك مدمن يا أستاذ .. .. ..

ـ مدمن؟! ..

ـ نعم .. لقد أعطيته من قبل هذا الدواء عدة مرات دون أمر من طبيب مجاملة لك ..  
ولكنه كان يلح في المزيد ..

ـ ما اسم الدواء؟ ..

ـ سيتيدول .. وهو مخدر قوى .. ولا يصرف إلا بأمر الطبيب ..

ـ إنه يصرخ ..

ـ آسف يا سيدي .. فهذه جريمة ! ..

\*\*\*

عدت إلى أبيني وكلى غضب ..  
يا أصدقائي ، أدعوا الله ألا يصيب والدأ بذلك المشاعر التي أصابتني ، عندما علمت أن  
أبني .. ووحيدى مدمن ..

كنت أتنفس بصعوبة بالغة ..

أرى مستقبلي كله وقد تحول إلى أطلال ..

أرى الدنيا ظلاماً كريهة لا تستحق اللقاء أو الحب ..

كنت أجر جسدي جراً في الطريق إلى الأمل المفقود ..

ودخلت البيت .. ووجدت حطام شاب .. ابنى يصرخ من الألم .. بكى ..

ـ هل أنت حقاً مدمn ؟ ..

وإذا بالشاب الوديع .. وحش مفترس .. « يجز على أسنانه » .. يصرخ من الألم ..  
يسأل فقط عن « دواء الإدمان » ..

ـ هل أنت مدمn ؟ ..

ـ أنقذنى .. إننى أموت ..

\*\*\*

يأصدقائى .. قولوا ما تشاءون ..

قولوا .. إنى رجل ضعيف ..

قولوا .. إننى رجل تافه ..

قولوا .. إننى فقدت الإرادة ..

لقد وجدت نفسي .. أسير فى شوارع القاهرة أبحث فى الصيدليات عن هذا الدواء ..  
حتى عثرت عليه بسعر مرتفع جداً مع نظرة حادة من الصيدلى .. وعدت إلى ابنى .. وقدمت  
له بنفسى « السم » .. وأخذه بسعادة .. وأسرع إلى غرفة النوم .. وخلفه زوجته .. وتوقف  
الصراخ .. وخرجت ..

\*\*\*

كان الفنان يروى للدكتور مصطفى المنيلاوى أستاذ الجهاز الهضمى فى مصر ، وأنا قصة  
ابنه مع الإدمان .. فالدكتور المنيلاوى صديق الفنان ، ويطلب منه علاج ابنه ..

قال الدكتور المنيلاوى :

ـ العلاج يحتاج بشدة إلى إرادة قوية .. فالسوائل المخدرة التى يتناولها المدمn عن  
طريق الدم بصفة خاصة .. تؤثر تأثيراً مباشراً فى الجهاز العصبى ..

ذهب الدكتور المنيلاوى وأنا إلى منزل الشاب .. كانت آثار المخدر باقية فى جسده  
النحيف .. لقد أصيب الدكتور المنيلاوى بصدمة عندما شاهد هذا الشاب .. قال .. همساً ..  
لقد كان كله حيوية .. وصحة ..

\* وبدأ الحوار المثير ..

— متى تناولت هذا المخدر الملعون لأول مرة ؟ .

— في إيطاليا .. في السنة الثانية .. لقد جاء مجموعة من الشباب الإيطاليين ، ومعهم هذا المخدر ، ولكنه يحمل اسمًا آخر ، رفضت في البداية .. شجعتني زوجتي .. وأخذت لأول مرة في حياتي .. وأخذت زوجتي .. ولكنها لم تكن أول مرة في حياتها ، كانت نصف مدمنة ، أى أنها تأخذ هذا المخدر على فترات متباينة . وتكرر هذا كل أسبوع على مدى عام كامل . ولكن .. خلال الأسبوع الأول كنت أشعر بالحاجة إليه ، وأبحث عنه فلا أجده . فاستعنت بزوجتي الإيطالية ، فتمكنـت من توفيره لي . وبدأت آخذ جرعتين في الأسبوع ، ثم ثلاث جرعات في الأسبوع .

— ألم يؤثر ذلك على دراستك ؟ .

— فشلت تماماً .. أنا لم أحصل على البكالوريوس في العلوم الإدارية كما أخبرت والدى ..

\*\*\*

مسكين هذا الفنان .. عندما سمع اعترافات ابنه .. وعندما علم أن ابنه قد فشل في الحصول على الشهادة الجامعية .. سقط مغشيا عليه .. وقام الدكتور مصطفى المنيلاوي بإسعافه ..

وأغلقنا محضر الاعتراف لهذا الشاب المدمن ، وانشغلنا بوالده .. دخل الوالد المستشفى تحت رعاية الدكتور المنيلاوي ، وكان يعالج من حالة اكتئاب شديدة ، الغريب في الأمر أنه انتشرت شائعة في الوسط الفني بأن هذا الفنان الذي تجاوز السنتين من عمره في المستشفى يعالج من « الإدمان » .

\*\*\*

عدنا إلى الشاب .. ليروى لنا حكايته مع الإدمان .. يقول :

— عدت وزوجتي من إيطاليا وقد فشلنا في تحقيق حلم والدى .. وعندما عرض على وظيفة في وزارة الخارجية رفضت ذلك .. لعدم حصولي على مؤهلات الوظيفة ..  
— والإدمان ؟ .

— كان أول شيء بحثت عنه قبل أن يلتهم جسمـي ما جئت به معـى من إيطاليا .. وكان أمامـي ثلاثة اختيارات :

الأول : الماكس فورت .. ولكنى علمت أنه يغتال الانسان على مدى لا يزيد على

عامين .. حيث يسد الشرابين .. ويموت بعدها المدمن .

الثانى : الهايروين .. ولكن الذهاب إلى مناطق شرائه فيه خطورة .. حيث عيون الشرطة – كما سمعت – مفتوحة . بالإضافة إلى أنه يصل بالإنسان إلى الموت أو الجنون في فترة زمنية سريعة .

الثالث : الكوكايين .. وهو مسحوق سام .. غير متوافر في مصر ..

فاقتربت على زوجتي اسم هذا الدواء .

– قال الدكتور مصطفى المنيلاوي :

– وهل تعلم مخاطره ؟ .

– مخدر .. ولكنه لا يغتال من يدمنه .

– لقد نسبت نفسك طيباً .. خيراً في المواد المخدرة دون علم أو دراية .

وسكط الدكتور مصطفى المنيلاوي لحظة يتأمل ما جرى ، ثم قال :

– اسمع يا بني .. كل الأنواع التي ذكرتها قاتلة .. تتفاوت فيها فقط فترة سماح ضئيلة ..

بعدها الموت .

وقلت للدكتور المنيلاوي :

– والحل ؟ .

– إرادة التوقف .

\*\*\*

قال الدكتور مصطفى المنيلاوي :

– أتصور أنه لا أمل في شفاء هذا الشاب .. إلا إذا طلاق زوجته .. ورحلت إلى إيطاليا مرة أخرى .. لأنه في حالة علاج الاثنين ، فإن أحدهما سيعيد الآخر إلى الإدمان .

\*\*\*

رفض الشاب طلاق زوجته .. ودخل المستشفى يعالج من الإدمان وكذلك زوجته .. وفشل المشروع الكبير الشهير .. وباع البنك ما تبقى من المشروع في المزاد العلنى .. وخرج الشاب وزوجته من المستشفى لا يملكان سوى تلك الشقة . لأنها « بالإيجار » .

وبعد حياة قاسية في القاهرة .. عادت الزوجة .. ثم الزوج إلى الإدمان .. وأخذت الزوجة الإيطالية ابنها الصغير ورحلت به من مصر .

\*\*\*

والآن .. إذا كنت صاحب صيدلية .. فلسوف تشهد هذا المشهد .. الفنان العجوز .. يأتي لك قبل الفجر .. ويتسل إليك قبل أن تسمع طلبه .. ويقول لك :  
— ابني في البيت يختضر .. قد يموت الليلة .. وقد يموت غدا .. ولكنه بالقطع سوف يموت .. تصور .. ابني سيموت ! .. أنا السبب .. أبعدته عن الدراسة الإسلامية في صباح .. لم أسمع نصيحة والدى ، رحمة الله عليه .. وفكرت أن أعمل منه خواجة .. وفشلت .. جهل مني .. أنا السبب ..

\*\*\*

وسوف يبلع الفنان ريقه بعد هذا الحديث .. ثم سيسقط يده في جيبيه .. ويخرج لك ورقة عليها اسم دواء مخدر .. وقبل أن يسلمها لك .. سيقول :  
— « ابني يختضر .. وحتى يموت لا أستطيع أن أراه وهو يتآلم .. أعطني هذا الدواء .. أرجوك .. أتوسل إليك .. إذا كنت قد أطربتك يوما .. إذا كنت قد أدخلت على نفسك الابتسامة يوما .. فرد لي اليوم الجميل .. وأعطني هذا الدواء لابنى .. فابنى يختضر .. ولا أملك أن أراه يتآلم ! ». .

\*\*\*

لاتتصور ولو للحظة .. أن هذا مشهد من فيلم سينمائي يقوم به هذا الفنان .. إنه مشهد حقيقي .. يتكرر كل ليلة .. حتى تحين ساعة رحيل الشاب الذي كان عبريا !

\*\*\*

## ( ٤ )

كانت الساعة الواحدة . بعد منتصف الليل ، ودق جرس التليفون في منزلى في هذه الساعة المتأخرة من الليل . وأحسست أن أمراً خطيراً قد حدث وما توقعته كان صحيحاً . سيدة من أعلام مصر . صديقة الأسرة . تصرخ في التليفون . وتستجدى بي .. فإن أحد أصدقاء ابنها الطالب في معهد الطيران « محجوز » في قسم الشرطة ، ولا تعرف السبب في ذلك . وقد اتصلت بالضابط المسؤول فرفض أن يعطيها أية بيانات .. وهي تخشى أن تذهب إلى قسم الشرطة وحدها في هذا الوقت المتأخر من الليل ..

كنت أعلم أن ابنها شاب متهور ، يملك سيارة صغيرة يقودها بسرعة جنونية . فتصورت أن الأمر لن يزيد عن كونه حادثة . وتمنيت السلامة لهذا الشاب المتهور .

اتصلت بالصديق الأستاذ محمد بركة المحامي . ليكون معى إذا كان الأمر يحتاج إلى قانون . وذهبنا معاً . ودخلنا القسم ، والتقيينا بالضابط المسؤول ، وسألنا عن الشاب مشروع الطيار . فقال لنا إنه في « الحجز » .

« والجز » في أقسام الشرطة المصرية . مكان مخيف ، ففيه كل أنماط قاع المجتمع ، من الخارجين على القانون ، والذين اعتادوا . الإجرام واعتبرت على حبس طالب جامعى مع القاتلة واللصوص فى قفص واحد ، ولكن الضابط طلب منى الهدوء حتى أعرف تهمته .. قال :

— لقد قبض عليه في شارع مظلم ، وهو بداخل سيارة يعطى لنفسه « إبرة » بها أخطر أنواع المواد المخدرة .

ومددت يدى إلى بقایا كوب ماء على الطاولة أمام الضابط وألقيت بها في فمى . بعد أن

شعرت بجفاف في حلقي ، بل كل جسدي .. لقد كانت المفاجأة خطيرة للغاية . وكان تصورها حلماً أسود يصعب تحقيقه .. وإذا بالمستحيل يحدث ..

\*\*\*

وقبل الاسترسال في مأساة هذا الشاب ، أود القول بأن هذه المأساة كانت البوابة التي دخلت منها إلى عالم « الإدمان والمخدرات » ، وأنا ألمس حجم مشكلة المخدرات . لا في مصر وحدها ، بل في كل الدول العربية .. ولا يوجد في عالمنا العربي من يعرف حجم هذه المشكلة الخطيرة سوى ضباط مكافحة المخدرات ، والأطباء الذين يتربّد على عياداتهم المدمنون .

ولكن الأخطر أنه خلال السنوات العشر الماضية ، انتشرت السموم القاتلة ، وهي الكوكايين ، الهيروين ، الماكس فورت . وأن جماعات الإدمان تتسع يوماً عن الآخر . حتى إنني التقيت بالعشرات من المهتمين بهذه القضية بحثاً عن حل لها ، ولكنني أتصور أن الحل العاجل لهذه المشكلة ما قاله لى فضيلة الدكتور سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية :-

– إن المخدرات أشد حرمة من المسكرات ، رغم أن كلتيهما حرام ، ولكن المسكرات تفقد الإنسان وعيه ، والمخدرات تقتله لا محالة ..

– والحل يا فضيلة المفتى ؟

– تنفيذ أحكام الشريعة .. بإعدام كل من يزرعها أو يتاجر فيها ، أو يتعاطاها ، فهو إثم عظيم . ولا يمكن حماية المسلمين من شرها إلا إذا حكمنا بالإعدام على الزارع والتاجر والمدمن .

لقد أحسست أن التعامل بقسوة مع ثلاثة المخدرات : ( الزارع – التاجر – المدمن ) بمتنه القسوة ، هو في حد ذاته كل الرحمة بالمجتمع . الذي نعيش فيه .. فالقسوة هنا رحمة .

\*\*\*

أعود إلى قضية الشاب الموجود في قسم الشرطة مع القتلة واللصوص وحثالة المجتمع .

هو ابن صديق ، والده كان كاتباً كبيراً في مصر . وكان والده مؤمناً يخشى الله فيما يكتب . وكان قد سخر قلمه للدفاع عن المظلومين والمغلوبين على أمرهم . كان الوالد فخراً لأسرته .

ولكن مات الأب الكاتب بالسكتة القلبية .  
وبعد شهور تزوجت والدته .. من رجل أحبها .  
وتفرغت تماماً للزوج الجديد ، ولعمله .  
كان الزوج الجديد ثريا ثراء فاحشا ، وكان كريماً جداً مع الصبي . ابن زوجته .  
وكبراً الصبي .. والتحق بالمعهد العالي للطيران .. وكما أعلم ، فهو تلميذ ذكي ، وأنه  
شاب مستقيم ، كوالده ، يخشى الله في كل تصرفاته .  
إلى هنا ، كانت معلوماتي عن أسرة صديق قديم .

\*\*\*

طلبنا من الضابط رؤية الشاب .. وأمر الضابط الحراس باحضار الطالب الجامعى  
المتهم .

وجاء الشاب ..  
ولم أصدق أنه هو .. لقد تغير تماماً .. أصبح نحيفاً جداً ، شاحب اللون ، ممزق الثياب .  
عليه آثار ضرب مبرح .  
عندما شاهدته وضع رأسه على صدره خجلاً .  
ما بكى كما كنت أتوقع ..  
وسأله : ماذا حدث ؟ ..  
فقال : الذي حدث .. كتبته في المحضر ..

تخيلت من إجابته الاستفزازية أنه في غيبة لا يعرفني ، سأله من أنا ؟ .. فأجاب  
إجابة غريبة قال :

ـ أنت الماضي الحلو .. أنت صديق والدى .. أنا لست في غيبة .  
ما فكرت لحظة أن أعتابه ..

وقام الأستاذ محمد زين برقة المحامي ، ووضع يده على كتفه ، وبدأ يحاوره فيما حدث  
منه ، ثم جاء موعد ذهابه إلى وكيل النائب العام ، فتركنا وذهب .

\*\*\*

دخل المحامي معه . وحضر تحقيق النيابة ، فإذا بهذا الشاب يعترف اعترافا كاملا بجريمته ، دون محاولة لإخفاء أى شيء ، مما جعل مهمة الدفاع صعبة .

وتتأكد المحامي أن وكيل النائب العام سوف يأمر بحبسه عدة أيام حتى يقدم إلى المحاكمة .. ولكن كانت مفاجأة لنا جميعا إذ أمر بالإفراج عنه من سرايا النيابة بضمان مالي كبير .

وقام المحامي وشكرا وكيل النائب العام ..

فرد وكيل النائب العام :

– لا تشكرنى أنا .. اشكر والده .

– لقد توفى .

– طبعاً أعلم .

– لا أفهم .

– أنا من تلاميذ والده ، تعلمت من كتاباته الكثير .

\*\*\*

أخذنا الشاب معنا بعد الإفراج عنه ، وذهبنا إلى والدته التي احتضنته كثيرا .. وهنا فقط .. رأيت دموع هذا الشاب لأول مرة .. وسألت الأم :

– ماذا حدث ؟

ونظر كل منا للأخر .. ولكنى جمعت شجاعتي .. وألقيت أمامها بكل ما حدث ، وسرعان ما تحولت هذه الأم الوديعة إلى وحش كاسر ، وقامت وضربت ابنها ضربا مبرحا ، وكان يردد جملة واحدة : « أنت السبب » ، وهى تكاد تقتله ضربا ، وفقت للحيلولة بين الأم وابنها ، إلا أنها سقطت مغمى عليها ، وجثنا لها بطبعيب ، وكانت ليلة متعبة .

\*\*\*

بعد أن هدأت ، قررنا علاجه فى أحد المستشفيات الموجودة فى حى « مدينة نصر » .

وكنت أزوره يوميا .. ولكنى لاحظت أنه لا يتحسن كثيرا .

وخلال زياراتى له حاولت أن أعرف لغز الجملة التى كان يرددتها لأمه عندما انهالت عليه ضربا :

ـ لماذا قلت لأمك : أنت السبب .  
واليكم قصته .

\*\*\*

كان يؤمن بما يكتبه والده ، وكان يؤكّد لأقرانه أنه سوف يعمل بالصحافة حتى يشق طريقه كوالده ، ويدافع عن المظلومين . ويُسخر قلمه لقضايا المجتمع .

ولكن ..... .

عندما تزوجت أمه .. كان الزوج الجديد مختلفا تماماً عن والده .. كان ثريا ووالده فقيراً ، وكان زوج أمه « إباحياً » في علاقته مع أمه . فكان الولد يخجل من هذا . فيخرج من البيت بعد تناوله الإفطار ، ويعود في المساء فيجد زوج أمه وهو يشرب الخمر . حتى أصبح وجود هذا الشراب في البيت من الأمور العادية . وكان والده يؤكّد له أن هذا حرام .

وكانت أمه تعطيه ما يشاء من الأموال . ليتناول الغداء في الخارج والعشاء أيضاً .

وكان لابد أن يبحث عن أصدقاء يقضى معهم هذا الوقت الطويل . حتى يكون بعيداً أكثر الوقت عن المنزل . ووجد صديقاً يسكن وحده في حي المعادي .

كم تمنى أن يكون له مسكن خاص به .. بل إنه عرض هذا الأمر على والدته . فرفضت . وطلبت منه أن يأتي بأصدقائه إلى البيت . ولكنه هو الذي رفض هذا الاقتراح . خوفاً من أن يرى أحد الأصدقاء « مشهداً معيناً بين أمه وزوجها » .

\*\*\*

قال لي وهو يضع يده على سبب المشكلة :

ـ لو أن أمي تزوجت برجل في أخلاق والدى لما كنت هنا . لو أن زوج أمي لم يتصرف في المنزل هذه التصرفات لما كنت هنا ، لو أن زوج أمي لم يحضر زجاجات الخمر إلى البيت لما كنت هنا ، لو عاش أبي لما كنت هنا .

في منزل صديقه تعرف على أصدقاء السوء .. مجموعة من ثلاثة مدمنين . حاولوا في البداية أن يضموه إليهم ، ولكنه رفض وقاوم بشدة ، ولكن بعد عدة أسابيع شعر بأنه غير مرغوب في هذا البيت الذي يرى فيه مهرباً من بيته .

\* يقول :

ـ أعطوني إبرة .. فيها سائل غريب .. عرفت فيما بعد أنه ماء ممزوج بالهيروبين .. رحت

في غيبة .. لا أعرف الزمن الذي أعيشه ، ولا الموضع ، لا أعرف السعادة ولا العذاب ، إنها ساعات انقطاع عن العالم بما فيه من خير وشر .. نسيت في هذه الساعات كل مشاهد البيت

بعد وفاة والدى .. وفي اليوم الثالث شاهمت معهم في قبره اسم الأبيض ، وبعد عده أسبوع كنت أنا الذي أشتريه من التجار على نفقتى بالكامل ، فلقد كانت أمي هي التي تغدق على ..

– هل تعرف نهاية مدمن الهيرويين ؟

– في البداية لم أكن أعلم ، ولكنني علمت بعد ذلك أنه انتحار بطء ، وأنه موت لا محالة ، أو الجنون ..

– ولماذا لم تتوقف ؟

– كان الأمر قد استفحلا ، ولم أعد قادرًا على التوقف ، وفي نفس الوقت « سبب » الهروب مازال في بيتي ..

\*\*\*

كان والده قدوة .. فقد القدوة ..

حاول أن يعيش على ذكرى مبادئ والده السامية ، ولكن جاء زوج أمه بمبادئه الرديئة يطرد من البيت كل المبادئ السامية ..

عاش الشاب عدة أسبوعين طويلا بالمستشفى ، أنفقت عليه الأم عدة آلاف من الجنيهات . وخرج وهي مطمئنة إلى أن ابنها قد شفى تماما ..

لم يعد الولد في حاجة إلى جرعة الموت ..

وعاشت الأم سعيدة ، بأنها قد ساعدت ابنها على الشفاء ، حيث كانت تبقى معه في المستشفى عدة ساعات يوميا . وأنفقت عليه بسخاء شديد ..

\*\*\*

كنت ألتقي بالشاب من حين لآخر . ولكن لم أجد تغيرا جذريا على وجهه ..

وبعد جهد اعترف الشاب ، أنه كان يتناول نفس الجرعات التي يحتاج إليها داخل المستشفى . كان « التمرنج » يتسلل كل ليلة بالأبرة ويعطيها له نظير مبلغ مضاعف عن السعر خارج المستشفى . وأنه خرج من المستشفى أكثر إيمانا ..

- وما الحل يا بني ؟ ..

- أعيش ، أو أموت بعيدا جدا ، في واحة تحيطها الصحراء المثلية من كل جانب ، لا يوجد فيها تاجر مخدرات ، ولا صديق من أصدقاء السوء ، ولا زوج آم .

ويا للكارثة ! .. مستشفيات معالجة الإدمان ، تتحول في الليل إلى أوكار للمخدرات .

\*\*\*

مرت الأيام سريعة ..

وجاء موعد المحاكمة ..

وذهبتا .. المحامي محمد زين بركة .. والأم .. وأنا ..  
ودخل الشاب قفص الاتهام .

وبدأت المحاكمة ..

وأصدر القاضي حكما بحبس الشاب ثلاث سنوات كاملة .

كل ما قاله الشاب بعد سماعه الحكم :

- ضاغ مستقبلي .

وصرخت الأم .. وقالت لجمهور المحكمة .. كل ما بذلته من أجله .. والمستشفى الذي ذهب إليه .. صرخت الأم في المحكمة وهي تتدارى على وحيدها ..

وقاده الحرس إلى «سيارات الترحيل» وتم ترحيله إلى السجن .. ولا أدرى تماما ، هل بدأ مستقبله في السجن ، حيث لا مخدرات ولا هيرويين .. أم أن هناك - كما في المستشفيات - هذا السم القاتل .

\*\*\*

انتهت مراسم ترحيل الشاب إلى السجن ، وسط صراخ الأم ، فهو وحيدها ومستقبلاها ، ونظرت إلى وكلها دموع :

- هل قصرت في حق ابنى ؟ .. هل أنا السبب كما يقول ؟

وهنا .. ثرت على الأم .. وطلبت منها بألفاظ قاسية أن تخلع النظارة السوداء التي لا ترى الواقع بالألوان الطبيعية ، فهى ترى الحياة كما تحب أن تراها ، لا كما هي في الواقع ..

وشرحت لها كل ما قاله ابنها .

شرحت لها الجملة الغامضة التي لم تتحاول أن تعرف إجابتها ، أخبرتها بما حدث له في المستشفى . شرحت لها موقفه من سلوك زوجها في البيت ، لم أترك صغيرة أو كبيرة إلا وأخبرتها بها .

٦٦٦

مر عام واحد على دخول الشاب إلى السجن ، ولا أدرى على وجه التحديد ماذا حدث له في السجن ؟ .. هل شفى من المرض اللعين ؟ .. هل يجد تلك الجرعات القاتلة داخل أسوار السجن ؟ ..

ولكن أدعوا الله لهذا الشاب بالشفاء .. فهو لا يستحق الموت ، فلقد كان مشروعاً لشاب عظيم يخدم أمته ، ولكن كان هذا السم القاتل الذي ألقى به في السجن ، وربما يلقى به - بعد ذلك - في القبر .

٦٦٧

## ( ٥ )

جلس رجل الأعمال فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط ، بمدينة الجزائر يرقب فى عمق شديد حركة السحب التى أمامه تماماً ، كان المشهد من وجهة نظره تراجيدياً ، فهو يكره الغيوم والسحب التى تحجب الشمس ، وعندما لا تستطع الشمس تغيب الحقيقة ، وإذا غابت الحقيقة عشنا فى زيف ، والحياة فى الزيف كارثة محققة ، وأحس الرجل بضيق شديد لهذا التفسير المأساوي ، ولكنها كانت فرصة لالتقاط الأنفاس .. إنه كهذه الرجل ، لم يتوقف أبداً ، وضع لنفسه طريقاً طويلاً بلا استراحات ، وسار فيه باندفاع بحثاً عن المال الحال والصفقات فى كل أنحاء العالم ، حتى أصبح مليونيراً ورجل أعمال ناجحاً ، هو يذكر جيداً أن الليالي التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالي التى قضاها فى بيته .

\*\*\*

عاد الرجل إلى غرفته فى الفندق .. ولم يتوقف عن التفكير فى حياته . إنها المرة الأولى التى يتوقف فيها ويفكر فى غير المال والصفقات . ونظر إلى المرأة ودهش من صورته وكأنه ينظر إلى المرأة لأول مرة فى حياته . وبدأ يتساءل :

ـ ما هذا ؟ من جاء بهذا الشعر الأبيض إلى رأسي ؟ ومتى جاء ؟ .. ما هذه التجاعيد التى ملأت وجهي ؟ .. من أدخل أطنان الدهن إلى جسدي ؟ .. من سرق مني الرشاشة والشباب والحماس ؟ .. إنها الأيام .. ولا شيء غيرها ، ولكن لماذا اليوم بالذات ؟ .. هى لحظة لاكتشاف عبور مرحلة من العمر ، واقتحام مرحلة أخرى ، ومراحل العمر قليلة .. أذن .. أنت فى مرحلة ما قبل النهاية بلحظات ، فهل أنجزت شيئاً يذكر ؟ .. خلال هذه المسيرة .. نعم .. أنجزت كل شيء ، لم أضيع وقتاً ، جمعت ثروة .. جعلتني مركز قوة

واحترام .. ولى أسرة سعيدة زوجة جميلة صغيرة وابن يمكن أن يأخذ بالشعلة مني ويتركنى  
استريح .. آه .. صاحب زوجتى لأول مرة فى رحلة حول العالم قد تستغرق عدة أعوام ،  
لا يهم ، المال وغير العالم متسع .

وأخذ الرجل - رجل الأعمال - يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه ، هل هو فى نهائى  
هندسة ، أم فى السنة الثالثة ، ولكنه كان متاكداً أن ابنه فى كلية الهندسة .. أما العام  
الدراسى فهو لا يستطيع أن يحدده بدقة .. لا شيء يهم ، بعد ساعات سيدهب إلى المطار ،  
ويلتقي بابنه ، ويعرف منه كل شيء ويعرض عليه إدارة شركاته وأعماله ، ويترك الكلية ، أم  
يوافق هو ولكن بشكل مختلف عن السابق حتى يتخرج ابنه ، ويتسليم الشعلة منه ..  
وأثناء هذه الأحلام .. دق جرس التليفون فى غرفته ، وكانت المكاملة من القاهرة ،  
والمحظى على غير العادة شقيقه .

- أحضر فوراً .. زوجتك تحضر .
- لم تكن مريضة .
- حادثة سيارة .
- انقلها فوراً بالطائرة إلى أوروبا .. أريد لها تعيش .
- الأطباء هنا .. كأطباء أوروبا .. المهم لا تتأخر .
- أول طائرة بعد ساعات .

وبكى رجل الأعمال .. سقطت الدموع لأول مرة من عينيه ، فلقد تبخرت آماله فى  
لحظة .. ولكن زوجته سوف تعيش ، سيسعى كل ثروته فى مقابل أن تعيش ، وبدأ يستعد  
لرحلة العودة .

\*\*\*

فى مطار القاهرة ، كان شقيقه الأكبر فى انتظاره ، لم يكن قد رأه منذ سنوات ، فلقد  
كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد .

- كيف حال زوجتى ؟
- تماسك .. لقد ماتت .. ماتت متأثرة بجراحها
- وبكى .. بكى طويلاً .. ووسط الدموع .. سأله شقيقه :
- وكيف كانت الحادثة ؟
- فظيعة .. لقد ماتت فى الحال .
- وأين هى ؟

— فى المشرحة .  
— مشرحة !  
— نعم .. والجنازة غداً .. كان يمكن دفنها اليوم ، ولكن قمت بتأجيلها حتى تكون من بين مودعيها .

— وأين ابنى ؟  
— لم يتمكن من الحضور .  
— حزين عليها ؟  
— طبعاً ..

\*\*\*

وساد صمت رهيب .. رجل الأعمال شارد ، فى ماضيه شريط طويل من الذكريات معها ، كانت فى العشرين من عمرها عندما رأها لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاماً ، وكان هو يقترب من الأربعين ، وكان رجل أعمال قد شق طريقه ويقف على اعتاب الانطلاق فى دنيا المال والصفقات والنجاح ، وهى طول هذا العمر لم يكن لها مطالب تذكر ، ولم تسأله يوماً — كأى زوجة — لماذا تأخرت ؟ .. ولم يشعر يوماً أن لها حقوقاً ، كانت معه كالنسيم ، دائماً فى انتظار عودته .

وكان شقيقه يفكر فى طريقة ما لتسريب القصة أو المأساة كاملة إليه . وعند مفترق الطرق ، اتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه بيت أو قصر رجل الأعمال .

— إلى أين ؟  
— إلى بيتي أولاً .  
— لماذا ؟  
— لنتحدث ..  
— هل تخفي شيئاً ؟  
— لا .. ولكن أرجوك .. أرجوك لا تعارضنى .  
وبكى الشقيق .

\*\*\*

كان شقيق رجل الأعمال يعمل مدرساً بسيطاً ، ويعيش على راتبه البسيط ، ولم يفكر رجل الأعمال فى يوم من الأيام تقديم أى مساعدة له ، ربما خوفاً من أن يرفض المساعدة ، ربما لأن المساعدة كانت رأس مال يدور ، وبعد عام أو عامين يمكن أن يتضاعف .. هونادم

على هذا الموقف .. وخاصة عندما دخل هذا البيت المتواضع ، فهو لم يعتد منذ سنوات  
دخول بيوت متواضعة !! .

قابلته زوجة شقيقه وهى ترتدى السواد وتبكي بشدة .. وكذلك أبناء شقيقه الثلاثة ،  
وقدموا له عزاء صادقاً من أعماق قلوبهم :

ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون ، وأغلق عليهم الباب .  
\*\*\*

– أشعر أن هناك أمراً أعظم من الموت .

قالها رجل الأعمال ، وهو يدعى لا يكون هذه المرة صادق الحس .

وبدأ الشقيق يتحدث :

– نحن الآن فى موقف لا نحسد عليه ، والأمر يحتاج منا إلى رباطة جأش ، وحسن  
تصرف ، وأعصاب قوية .

حاول أن يقاطعه وهو يسترسل فى الرواية .. ولكن شقيقه طلب منه الهدوء .  
المأساة قاسية .. لا تصدق .

لقد اتصل بي ضابط الشرطة فى القسم .. وطلب مني الحضور فوراً .. وحاوت أن أعرف  
منه السبب فلم أعرفه .. وذهبت .. فوجدت ابنك ممزق الثياب ملابسه عليها بقع من  
الدماء .. وفي حالة ذهول .. ويجلس على الأرض فى غرفة الضابط .. وكاد قلبي يتوقف ..

– خسرت ابني أيضاً .

– انتظر .. أرجوك ..

وعاد الشقيق يروى :

– سألت .. ماذا جرى ؟ .. ونظر إلى ابنك ، ثم نهض ، وارتدى على صدرى ، وظل  
يبكي ، وتركته يبكي ، ويبكي .. وأنا فى حالة ذهول .. وسألته .. ماذا فعلت ؟ فبكى ..  
فقط .. بكى .. سأله مرة أخرى .. وثالثة .. ورابعة .. ولكنه ظل يبكي .. والضابط صامت ..  
وكانه يريد أن يعرف هو الآخر .. ماذا جرى ؟ .. ثم سالت الضابط فقال لى جملة .. سقطت  
بعدها فاقد الوعى :

– البيه المدمن .. قتل أمه !

وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه من أعماق قلبه .. وقال بكلمات صادرة من  
قلب مكسور :

— آه .. لقد انتهت حياتي ..  
ودخلت الزوجة .. زوجة شقيقه .. تحمل ماء مسكوناً .. والاحت في ضرورة تناوله ..  
وتناوله وهو لا يدرى ماذا شرب ؟ .

\*\*\*

وبدأ يستمع إلى المأساة .. إن ابنه الوحيد ، طعن أمه بمسكين المطبخ ، حتى ماتت ..  
ثم ذهب إلى قسم الشرطة .. وقال جملتين فقط :

— أنا فلان ابن فلان .. قتلت أمي بهذا السكين ! ..  
ورفض أن يضيف إلى هذا القول شيئاً . كما رفض الإجابة على أي سؤال .. وفتشوه  
فوجدوا معه ما يطلقون عليه « تذكرة هيروبين » . أى كمية ضئيلة من الهيروين ، وأمرت  
النيابة بتشرعن الجثة ، ثم صرحت بدهنها .. هذه هي المأساة ..

— لماذا قتلتها ؟  
— لا أحد حتى الآن يعرف .

\*\*\*

انتهت مراسم الجنازة ، وودع الرجل زوجته حتى القبر ، وخلال ذلك فشلت الصحافة  
والشرطة والنيابة في معرفة الدافع لهذه الجريمة التي فاقت كل حد .. وهزت مصر كلها من  
الأعماق ، إحدى الصحف اقتربت من دوافع الجريمة .. وهي تقول نقالاً عن الدكتور عادل  
الدمداش في كتابه : « الإدمان مظاهره وعلاجه » .

قالت الصحفية :

— إن الدكتور الدمداش قد قال إن استعمال الهيروين ينتشر بين المراهقين والشباب  
الذين يتعاطونه من باب التجربة أو التسلية أو مجازاة الرفاق ثم يدمون عليه فيما بعد ..  
والهيروين من المخدرات التي تسبب الإدمان بسرعة ، إذ يؤدي تعاطيه المنتظم لمدة  
 أسبوع واحد فقط إلى الإدمان .

يقول د. دمداش إن مضاعفات الإدمان هي فقدان الشهية والهزال والضعف الجنسي  
 واضطراب العادة الشهرية عند النساء وتقحيم الجلد وتسمم الدم .. والتهاب الكبد ، وغشاء  
 القلب المبطن ، والإصابة بالزهري والأمراض المعدية الأخرى كذلك التسمم والوفاة والانتحار  
 وحوادث السير والطرق وارتكاب جرائم السرقة للحصول على النقود الالزامية لشراء المخدر ،  
 وامتهان الدعاية بين الفتيات وإصابة ٩٠٪ من الحوامل المدمنات على الهيروين ولادتهن

قل اتمام الحمل واصابة المواليد بنقص الوزن وضعف المناعة وفاتها بعد الولادة بنسبة

ستراوح ما بين ٣٠ إلى ٩٠ في المائة ، اذا لم يعالجوها فوراً .. وتدور المستوى الدراسي بين الطلبة المدمنين والكسل والإهمال والغش من أجل الحصول على المخدر ، وتدنى الكفاءة والإنتاج والانزواء عن الآخرين والاختلاط فقط بالمدمنين .

وبعد أن سردت الصحيفة رأى أحد المختصين وهو الدكتور الدمرداش بدأت تحلل الجريمة ، فقالت :

– كل العلماء أكدوا أن الهيرويين يدفع على الجريمة ، كما أن كل العلماء أكدوا أن الهيرويين يفقد الإنسان المدمن كل قيمة وكل مبدأ ، ويصبح شخصاً بلا قيم ولا مبادئ ، وهذا الشاب الذي يرفض أن يتحدث هو بلا شك مدمn هيرويين .. حيث عثر معه على كمية ضئيلة منه ، وكان في حاجة إلى مال ، فطلبـه من والدته الثرية ، زوجة المليونير ، فرفضـت فهـدـهـا باـسـتـخـادـ السـكـيـنـ الذـىـ أـسـرـعـ وجـاءـ بـهـ مـنـ الـمـطـبـخـ ، فـلـمـ تـتـصـوـرـ وهـىـ الـأـمـ أـنـ يـرـفـعـ اـبـنـهـ السـكـيـنـ عـلـيـهـ وـيـغـرـزـهـ فـىـ جـسـدـهـ .. فـأـصـرـتـ عـلـىـ الرـفـضـ ، فـنـفـذـ تـهـديـهـ ، وـقـتـ أـمـهـ ، وـعـنـدـمـاـ سـلـمـ نـفـسـهـ إـلـىـ الشـرـطـةـ كـانـ فـىـ حـالـةـ وـعـىـ كـامـلـ مـنـ هـوـلـ الـمـأسـاةـ ، فـشـعـرـ بـالـنـدـمـ ، وـلـكـنـ فـىـ وـقـتـ لـمـ يـعـدـ يـنـفـعـ فـيـهـ أـىـ نـدـمـ ، فـسـكـتـ اـنـتـظـارـاـ لـحـبـ الـمـشـنـقةـ ، هـذـاـ تـصـوـرـنـاـ لـلـحـادـثـ الذـىـ هـزـ الـمـجـتمـعـ ، وـكـثـرـ تـفـسـيـرـاتـهـ أـمـامـ صـمـتـ الشـابـ القـاتـلـ ، الذـىـ فـصـلـ مـنـ عـامـ مـنـ كـلـيـةـ الـهـنـدـسـةـ التـىـ كـانـ يـدـرـسـ بـهـ ، حـيـثـ عـاـشـ أـسـيـرـ الـهـيـروـيـنـ .. وـلـاـ يـرـىـ فـيـ الـحـيـاةـ أـهـمـ مـنـهـ ..

قرأ رجل الأعمال فى الصباح هذه المقالة قبل أن يذهب إلى ابنه .. وسائل نفسه :

– أين كنت يا رجل الأعمال والإنجازات .. ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدرى .. ابنك أدمn الهيرويين وأنت لا تدرى .. هل هذه الأموال التي جمعتها تستحق ما أنت فيه ؟ ليتها تضيع كلها وتعود لى أسرتي ..

ولم يعرف إجابات كثيرة على أسئلة كثيرة .. تداعت وتزاحمت وتجددت أمامه .. إلا أن سؤالاً واحداً كان يعرف جيداً الإجابة عليه : هو المسؤول الأول عن هذه الجريمة .. كان يكفى مال أقل .. واهتمام أكثر بأسرته .. آه ! أسكره النجاح فى الصفقات .. فآدمn حب المال هو الآخر .. فجأة المال وضاعت الأسرة .

\*\*\*

كان لقاء مؤثراً .. بين الوالد وابنه .. بعد أنأغلق الحراس الباب عليهم .. ساد صمت .. كلاهما لا يعرف كيف يبدأ .. ولكن ابن سأل والده :

- متى وصلت من الخارج ؟
- أمس الأول .
- ومتى سترحل ؟
- ربما بعد هذا اللقاء .
- إلى أين ؟
- إلى أمك .

\*  
وعاد الصمت من جديد .. واستمر فترة طويلة من الزمن .. ولكن الشاب ارتمى فى أحضان أبيه .

- أبي .. أرجوك .. ضمنى إلى صدرك .. بشدة أكثر .. احتاج إلى هذا .. محروم منه .. ما أقسى الحياة الباردة .. آسف .. لم أكن فى وعي .. عاد لي الوعي بعد أن انتهى كل شيء .. عندما خرجمت نافورة الدم الأولى من جسد أمي .. أصبحت بالرعب والفزع .. ووجدتني أغزف فيها السكين أكثر من مرة .. لم تكن تستحق هذا .. أبدأ لم تكن تستحق هذا .. دعنى لأبكي على صدرك فلم أكن أعرف الدموع .. لا تتخل عنى .. لا تتركنى وحدى بعد اليوم ..  
وظل الشاب دقائق طويلة على صدر أبيه .. والرجل لا يدرى ماذا يقول .. هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته .. والتى هي أمه ؟ .. لقد أحدث هذا الموقف خللا فى مشاعره .. بل زلزاً فى هذه المشاعر .

\*\*\*

بدأ الشاب يروى لوالده :

- لقد عرفت منذ عامين الهيرويين للتسلية والجنس ، ولم يعد يسلينى بل يصيّبني بالاكتئاب ، ولم يعد - بعد إدمانه - أى قلبلي للجنس كانوا مجموعة معى ، منهم من ترك عمله ومنهم من ترك جامعته .. وعشنا للهيرويين ، وقتل فيينا الهيرويين كل شيء : الطموح والخلق ، ودفعنا جميعاً إلى الجريمة ، سرقنا ، كم سرقت من أمى ؟ .. وكم هي اتهمت الشغالة ، وكم دفعتنى الحاجة إلى اختراع القصص والنواادر ، حتى أحصل منها على مال يكفى ما تحتاجه من هيرويين ، ثم اكتشفت أمى أننى أتعاطى هيرويين ، وهددتني بأنها سوف تبلغك اذ لم توقف ، ولم يكن لدى الرغبة فى التوقف ، ادعىتنى توقفت ، ولكن كل تصرفاتى تفضحنى .. زادت حاجتى أيضاً للمال والذى بدأت تمنعه عنى بقسوة ، وطلبت منى أن أدخل إحدى المصاھات للعلاج ، إلا أننى رفضت ، وألحت ، وكنت وقحاً فى رفضى .. لقد حاصرتني البدرة .

- ثم ماذا ؟

- وسكت الشاب .. وأعاد الوالد السؤال :

- ثم ماذا ؟

وبندهم شديد ، وتحمل أشد ، قال .. حتى كان يوم الجريمة .. كنت في حاجة ماسة إلى مال لأشتري هيروين لى ولأهدقائي .. وطلبت منها ألف جنيه ، وأخبرتها أنتي صدمت سيارة بسياراتى ، ولكنها رفضت .. وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية .. هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنيه .. فسأخبرك بأنها على علاقة برجل .. فصفعتنى .. وبصقت فى وجهى .. واذ بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة .. تتحول إلى شبه واقع أمامى . وأن أمى - حقاً - على علاقة برجل آخر غيرك .

هكذا صورلى الهيروين الوهم حقيقة .. وتضخت الأمور أمامى .. وتصورت ما يحدث بين عشيق وعشيقته .. والعشيق هنا أمى .. ومر أمام عينى شريط من الوهم وكأنه الواقع .. إذن هذه المرأة التى هي أمى يجب أن تموت .. وأسرعت إلى المطبخ .. وجئت بالسكين .. وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة .. فرفضت .. فكانت الجريمة البشعة .. وماتت أشرف امرأة فى الوجود .

\*\*\*

وما إن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده ، إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون وداع ، ويغلق الحارس الباب على المتهم بقتل أمه .. ووجد ابن نفسه مرة أخرى وحيداً .. نادى على والده .. فلم يرد .. ثم نادى مرة .. ومرة .. ومرة ..

- أنت السبب .. أنت السبب .

وظل الشاب المدمن يقول إن والده هو السبب ، وهو الذى دفعه إلى كل هذا لعدم رعايته له .

\*\*\*

الشاب لم يقدم للمحاكمة .. لقد فقد البقية الباقيه من عقله ، وتم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية ، وهو يقول لمن يقابله :

- أنت السبب .. وأمى أشرف امرأة فى الدنيا .. أمى أشرف امرأة فى الدنيا ..

\*\*\*

فى حى التقوى ، يوجد مسجد فى ميدانه ، عندما تدخله لتأدية الصلاة ، ستجد بداخله

رجالاً يرتدى جلباماً أبيض ، ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه ، وعندما ينتهى من تلاوة سورة ،  
يتجه إلى الله بكلتا يديه :

— اللهم اغفر لى .. وسامحنى يارب العالمين ..

هذا الرجل هو نفسه رجل الأعمال ، الذى تبرع بكل ما يملك لإدارة مكافحة  
المخدرات ، وأخذ من بيت الله مكاناً كى يرحمه ..

وعندما تؤدى الصلاة بجواره ، سيصافحك بحرارة ، ويطلب بلطف وأدب أن تعطيه من  
وقتك القليل ، وسوف يروى لك هذه القصة بكل تفاصيلها ، وعن زيارته الأخيرة لابنه فى  
مستشفى الأمراض العقلية ، سيبكى كثيراً ، وهو يسرد لك القصة ، ثم سيطرح عليك سؤالاً  
محيراً يريد منك إجابة محددة عليه :

— من المسئول عن كل هذا ؟ .. هل هو لانشغاله عن أسرته .. هل الحكومة لأنها  
لا تعدم تجار المخدرات ، هل ابنه الذى لم يتمكن من مقاومة التجربة الأولى لشمة  
هيروين ؟ .. هل زوجته الطيبة التى رأت أن علاج ابنها فى منع المال عنه ؟ .. من  
المسئول ؟

ولكى تخفف من آلامه .. عليك أن تقول له : إن المسئول عن هذه المأساة هو ذلك  
الوضع المادى القاسى ..

\*\*\*



## ( ٦ )

أنا طبيب عربي .. أقضى فى أحد سجون القاهرة فترة عقوبة ، تمتد إلى أكثر من سبع سنوات ، قضيت منها حتى الآن عامين بتهمة حيازة المخدرات . وقد لا يعلمون في السجن أتنى كم فكرت في الهرب خارج الأسوار بحثاً عن عقار الـلـهـوـسـةـ الذـىـ لم أجده في السجن ويحتاج له جسدي . لولا حادث هام :

ذات يوم جاء خطيب المسجد ، ليلقى على المساجين خطبة الجمعة . وأنا أعرف سلفاً ما سوف يقول ، فهو يتحدث عن التوبية ، والعقاب والنار والحرام . ليس جديداً على مسامعى ما سوف يقوله خطيب المسجد الجديد ، كل الخطب في السجون متشابهة .

ولكن ..

الرجل مختلف تماماً ، سواء في طريقة الإلقاء ، أو فهمه للقرآن الكريم .. لقد تحدث الرجل عن القوة التي وهبها الله للإنسان ، والقدرة على التحدى الكامنة في جسده . تحدث عن صبر أيوب ، وإصرار موسى ، وعطاء عيسى . تحدث الرجل عن عطاء الإنسان للبشرية وقدرته على ذلك .. تحدث الرجل عن الاكتشافات والاختراعات عندما استنفر الإنسان قوة التحدى التي وهبها الله له .

\*\*\*

تذكرت طفولتى ، عندما عبرتى والدى العجوز جسر الحسين الذى يفصل الضفة الغربية عن الشرقية ، وصرت لاجئاً .. كان ذلك عام ١٩٦٧ ، وكنت فى ذلك الوقت أبلغ من العمر أربعة عشر عاماً .

أنا .. ووالدى تحت سقف خيمة مع عشرات من اللاجئين فى أغوار الأردن . نشارك

سكن الحيم كسره "الـا الـا الواحدة" ، كان أمل والدى العجوز كبيراً في العودة إلى البيت والبيارة خلف النهر .. وكان كلما فقد الأمل يردد : لماذا خرجت ؟ .. هنا سأموت ، وهناك سأموت ، ولكن أفضل الموت في دارى . كان والدى يقول لي :

— إذا عدت .. فلا تترك دارك أبداً .. دعهم يقتلونك داخلها .. ولا تتركها أبداً .

ومات والدى حسراً على البيت والبيارة .

وكان على أن أواجه الحياة وحدي مبكراً .

استنفرت قوى التحدى في داخل جسدي الصغير والنحيف .

قررت ترك مخيم الأغوار والاتجاه إلى عمان .

وفي عمان ، كنت أجد لي مكاناً أبىت فيه خلسة في مخيم الوحدات وتحت سفح أحد جبال العاصمة الأردنية .

قررت تحدي الظروف ، والصمود أمام كوني طفلاً يتيمًا لا جنًا غريباً مرفوضاً من المجتمع البشري ، ولكن كيف التحدى ؟ .

وضعت هدفاً استراتيجياً في حياتي ، أن أتحدث لغة عالمية ، لغة مقبولة في أية بقعة من بقاع العالم . وجدت هذه اللغة في أمرتين لا ثالث لهما : المال أو العلم الرفيع ، وراحت على الاختيار الثاني .

وبدأت رحلة التحدى ..

أستيقظ قبل شروق الشمس ، أؤدي صلاة الفجر في المسجد ، ثم أذهب إلى جبل عمان ، حيث الطبقة الاستقراطية ، وأبحث في القمامنة عن الزجاجات الفارغة ، وأعود إلى مخيم الوحدات ، أنظف تلك الزجاجات تنظيفاً جيداً ، وأذهب بها إلى الأسواق الشعبية .. كنت أبيع يومياً كل ما عندي .. وكان عندي مائة زجاجة فارغة في اليوم ، كانت حصيلة البيع تكفي لدراستي وشراء ما أحتاج إليه من كتب ، وما تبقى أشتري به غذاء بسيطاً ، وأحياناً بعض الملابس المستعملة .

\*\*\*

فكرت في الجامعة ، وفي كلية الطب بالذات قبل أن أصل إلى الثانوية العامة ، وجدت أن مصروفاتها كبيرة ، ولن أملك ادخارها ، فكتبت إلى ياسر عرفات رسالة أشرح فيها كل ظروفني ، وجاء الرد الذي أسعدهني :

— « أكمل دراستك الثانوية ، ولا تحمل هما بعد ذلك » .

وشعرت أننى أمسك الجامعة بيدي ، وأننى طالب فى كلية الطب بالجامعة الأردنية ، ودفعتى هذه الرسالة ، إلى توسيع تجارتى لادخار بعض المال الذى ينفعنى فى دراستي الجامعية ، فلن يسمح وقتى بالدراسة والتجارة معاً .

وعلى مدى السنوات القليلة ، حصلت على الثانوية العامة ، وخمسمائة دينار أردني ، وكتبت مرة أخرى إلى عرفات مع صورة من خطابه السابق .

وجاء الرد .. لك مكان فى كلية طب القاهرة .

وحزمت حقيبتي الصغيرة .. وطربت من عمان إلى القاهرة .

كنت أتصور — فى البداية — أننى عشت فى القاهرة ورأيتها من خلال روايات نجيب محفوظ ، ومسرحيات توفيق الحكيم ، ويوسف إدريس ، ومحمد حسين هيكل ، وتلك الأفلام السينمائية .

ولكن القاهرة التى أراها اليوم شئء مخيف .. ملائين تملأ الشوارع .. زحام من كل الجنسيات .. ثراء وفقر .. قصور وأكواخ .. نهر عظيم ومستنقعات ، وجو حرب يخيم على المدينة .

\*\*\*

سكنت القاهرة ، وسكنتني ، أحbigت هذه المدينة بجمالها وقوتها ، بثرائها وفقها ، بسهراتها البريئة ، بمساجدها المزدحمة ليل نهار ، بندوات متنقفيها ، ببساطة أهلها ، وأصبحت هذه المدينة جزءاً مني وأنا جزءاً منها .. وقررت الإقامة بها حتى القبر .. اخترتها وطنألى بدلاً من وطني السليم .

كافحت من جديد أثناء الدراسة وبشكل مختلف .

كان تعليمى فى طب القاهرة منحة مجانية من بين آلاف المنح التى كانت تعطىها حكومة مصر لشباب وطني ، وكان على أن أذير مصروفاتى الخاصة ، مكتب المنظمة يتکفل بجزء .. وأنا أسافر عمان أشتري بعض الملابس وأبيعها فى القاهرة ، فتكفينى .

وهكذا .. التهمت مئات الكتب خارج الكلية .. والتهمت كل كتب الكلية وأصبحت طبيباً .

\*\*\*

رغم فائض العمالة المصرية ، فإن هناك قانوناً يتيح لي العمل في مصر ، وعملت طبيباً في مصر ، وتعرفت على فتاة فاضلة من قطاع غزة ، والدها يعمل تاجراً مشهوراً في القاهرة ، وتقدمت إليها .. وتزوجتها .

لم تقف طموحاتي عند هذا الحد .. أريد الحصول على الدكتوراه في الطب من الولايات المتحدة الأمريكية .. وهذه تحتاج لأموال لا يسعفني دخلي المحدود في القاهرة بتوفيرها .. بحثت عن عقد عمل في دول الخليج ، حيث المرتب وغير بالعملة الصعبة ، فلم أجد .

قمت بـ مغامرة غريبة ، أخذت أوراقى التي تثبت أننى طبيب ، وعضوى فى نقابة أطباء مصر ، ورحلت إلى الأردن ، وهناك التقى بـ زعماء تسفير العمالة إلى الخليج بطرق غير شرعية .. واتفقنا على الرحيل في سيارة ثلاثة ، ركبت بجوار السائق .. وعند نقطة الحدود ، ارتديت المعاطف الثقيلة ، واحتفيت في الثلاثة خلف الخضراء المصدرة .. كدت أموت خلال عبور نقطة الحدود .. وعندما عبرنا النقطة ، توقف السائق ، وفتح باب الثلاثة ، وخرجت سعيداً بحرارة الجو والنجاة من الموت وأمل العمل في هذه الدولة الخليجية ..

بمساعدة مكتب المنظمة ، وجدت عملاً ، وراتباً ، وجئت بأسرتي ، وعشنا عامين في هذه الدولة الكريمة ، وأصبح معى ما يكفى لاقامتى في الولايات المتحدة للحصول على الدكتوراه في الطب .

عادت زوجتى ورضيعها إلى القاهرة للإقامة مع والدها مدة دراستى في الولايات المتحدة الأمريكية ، وطررت في نفس اليوم إلى نيويورك ، حيث كانت جامعتى .. نيويورك مدينة بلا قلب ، فيها سرعة العصر وقوته .. تلعب بالملايين وترى الملايين بلا عشاء .. مدينة شعارها : كم معك ؟ ، كم تساوى ؟ .

\*\*\*

لست في حاجة إلى دفع ولا عواطف في هذه المدينة .. كل ما أحتاجه عمل شاق حتى أحصل على الدكتوراه وأعود في أسرع وقت ممكن .. لذلك كنت أيام قليلاً وأستذكر دروسى كثيراً ، ولا أعرف الله .

وذات يوم أصابنى أرق شديد ، ولم أنم ، وذهبت إلى الجامعة مرهقاً .. شكوت حالى لصديقى الأمريكى .. فأعطانى حبوباً بيضاء مهدئة ، وعندما عدت إلى غرفتى تناولت حبتين .. بعد دقائق ، شعرت بسعادة وهدوء ، ونسخت كل شيء ، التفكير في زوجتى وابنى الرضيع ، ورحت في نوم عميق .

وفي الصباح ، قمت من النوم بصعوبة ، وذهبت إلى الجامعة ، وتمكنت من استعادة نشاطي . وعادت إلى الغرفة .. استذكرت دروسى . حاولت أن أنام فلم أتمكن . فأخذت حبتين .. وهكذا حتى انتهت الحبوب .. وفي الجامعة سألت صديقى عن اسم هذه الحبوب لأنشتريها من الصيدلية ، فقال لي :

- إل . إس . دى .

لست كيميائيا ، ولكنى طبيب ، وأعلم أن هذه الأنواع من الحبوب تدرج تحت أصناف المخدرات .

وعادت إلى الكتب لأعرف تأثيرها ..

فوجدت الآتى :

وهي مستحضر سام من نبات « الشيلم » ، الذى يشبه إلى حد كبير القمح ، ومن هذا النبات يستحضر كيميائيا حمض « الليزر جيك » ومنه يأتي سائل « إل . إس . دى » ، ثم يتحول السائل إلى تلك الحبوب ، والتى يطلق عليها حبوب الهلوسة ..

وأن سبب بلاء العالم بهذه الحبوب هو عالم كيميائى المانى مشهور اسمه هوفمان ، حيث قام بدراسة « إل . إس . دى » على نفسه عام ١٩٤٣ .. وكان يعود من معمله إلى منزله مرهق للأعصاب ، فيعطي نفسه حقنة من هذا السائل ، فيشعر بالسعادة ويزهد فى نوم عميق .. وقد عرض هذا العالم اكتشافه على الزعيم النازى هتلر ، وكان يريد هتلر أن يفرق الدول الأوروبية المحتلة بهذا السائل إلا أن هتلر قد مات قبل القيام بهذه التجربة اللعينة .

وهذا السائل اللعين ، يصيب الإنسان بالهلوسة ، قد يضحك الإنسان بلا سبب ، ثم يصبح غير قادر على الإدراك ، ويرى أمامه أشياء غير حقيقة ، ويرى الأشياء الحقيقية ضخمة ، ذات لوان زاهية ، ويرى الأشياء الثابتة تتحرك .

قد يرى - مثلا - حائط الغرفة التى يقيم فيها يتحرك ويتجه إليه ، حتى إن أحد الأمريكان الذى أخذ حقنة من هذا السائل ، وكان يجلس مع أصدقائه ، أخبرهم بأن حائط الغرفة يتحرك فى اتجاهه ، ولم يكن أمامه إلا أن يلقى بنفسه من الشرفة من الدور الرابع والعشرين فسقط قتيلا . يرى المدمن لعقار الهلوسة أن بعض أجزاء جسمه تتحرك بعيدا عنه ، قد يموت من الرعب عندما يرى أسنانه أمامه .. أو يرى عيناً من عينيه خرجت من رأسه واتجهت يمينا ، والأخرى يسارا .

وفي النهاية إن لم يتوقف المدمن عن هذا العقار ، فإنه إما أن يتتحر أو يموت .

شعرت بالرعب بعد هذه المعرفة ، وعدت إلى غرفتي أحاول أن أنام فلم أتمكن ، لم

أشعر برغبة ، أية رغبة في تناول هذا العقار ، ذهبت في اليوم التالي إلى الجامعة دون نوم ، ولم أتمكن من متابعة تجاري ، فعدت مبكراً إلى غرفتي ، ولكنني لم أتمكن من النوم .  
وذهبت إلى الجامعة بعد أرق استمر أكثر من ثمان وأربعين ساعة .

وقابلت زميلي الطبيب الأمريكي .. ونظر إلى ، وأحسست من نظراته أنني في حالة سيئة للغاية . ولا أدرى لماذا شكت له ؟ .. ثم لا أدرى لماذا مددت له ذراعي ليعطيه أول حقنة من هذا العقار اللعين .. ربما ضحكت كثيراً بعد أن أخذت هذا العقار اللعين ، ربما بكيت . ربمارأيت أطرافى تتراقص أمامى .. ربما .. ربما .. ولكن في النهاية أعترف أننى أدمنت هذا السائل اللعين ..

فى لحظة وعى التقيت بالطبيب ، حاولت أن أعتابه ، فنظر إلى قائلاً :

– ألم تكن تعلم أننى إسرائيلي أحمل الجنسين : الأمريكية والإسرائيلية معاً .

ونظرت إليه فى رعب .. وشعرت أننى أستحق أكثر من هذا .. فلقد أقلعت عن الصلاة . وأقلعت عن قراءة القرآن ، وتذكرت أيام الصبا والفقير فى عمان ، عندما كنت أصلى الفجر حاضراً فى المسجد ، وأقرأ آيات من القرآن ، وأبحث عن الزجاجات الفارغة ، وأعيش فى فقر وأأمل وسعادة حقيقية .

والآن .. كنت على أبواب الحصول على الدكتوراه .. أشعر بهموم الدنيا .. وتركت المتأمر يتآمر وتنجح مؤامته .. لماذا ؟ .. لأننى تركت العلاج النفسي الحقيقي : الوقف أمام الله .

ندمت فى وقت لا ينفع فيه الندم .  
وفشلت فى الحصول على الدكتوراه .  
وأدمنت هذا السائل اللعين .  
وأخذت منه ما أستطيع وعدت إلى القاهرة .

وصلت مطار القاهرة . وجدت نفسي دون أن أدرى أقبل تراب وطني البديل . وارتミت فى أحضان زوجتى ووالدها وإخوتها ، وأنا أبكي ، وددت أن أطير إلى بيقى .. ودخلت غرفة النوم ، وأخذت جرعة كبيرة فى الوريد لأعرض بها ساعات السفر . ودخلت الصالون على زوجتى وأسرتها التى كانت فى لقائى ، ولا أذكر إلا أننى بعد دقائق من جلوسى معهم ابتسمت بلا سبب ، ثم ضحكت ثم قهقهت . ثم روت لى زوجتى ما حدث منى .

بعد القهقهة .. أشرت الى والدها بيدي وأنا فى غاية السعادة والمرح وقلت :  
— هذا قرد الأسرة .

وطلبت منه ان يقفز على الحائط الذى يتحرك .  
وطلبت من شقيق زوجتى أن يمسك رأسه الذى طار وعلق فى السقف .

قالت زوجتى عنى إننى كنت بلهوانا سخيفاً يثير السخرية والشفقة . وفقدت احترامى  
 أمام زوجتى ، واحترامى أمام أممأ زوجتى .

والكارثة أن زوجتى علمت إننى مدمى مخدراً ما .. لا تعرف اسمه . ولكنها نوع من أنواع  
المخدرات .

\*\*\*

اجتمع مجلس أسرة زوجتى فى لحظات وعى منى . وبناء على طلب من زوجتى لبحث  
قضية إدمانى .. وعرضوا على بالحاج وقسوة اختيارين :  
الأول : العلاج من الإدمان والإقلاع عنه نهائياً .  
الثانى : الطلاق من زوجتى .

وفي حالة الإختيار الثانى : سوف يبلغون الشرطة ونقابة الأطباء ، لأننى لن أكون أميناً  
على المرضى على الرغم منى .

\*\*\*

تظاهرت بقبول الحل الأول .  
وانفض المجلس على هذا القرار . على أن يبدأ تنفيذه فور العثور على مكان في أحد  
المستشفيات الخاصة الثانية .

وأحسست بالفضيحة تتسلب من زملائي في هذا المستشفى . الذي سادخله مريضاً .  
إلى كل أطباء مصر والعرب والعالم .

لقد ضحى لي هذا العقار أمر هذه الفضيحة  
شعرت أن الصحف تتحدث عنى .  
الإذاعة تذيع نشرات الأخبار مصحوبة بالموسيقى الجاز على إدمانى وعلاجي .  
التليفزيون يقدم مسلسلاً عن الطبيب الذي أدمى عقار الهلوسة .  
صورتى على أغلفة المجلات . وباعة الصحف في العالم العربي ينادون على شراء قصة  
إدمانى .

الله .. لِلَّهِ الْكَلَمُ الْأَوَّلُ ! .. لِلَّهِ الْكَلَمُ الْأَوَّلُ رَوْحَجِي وَسَرِيعٌ

لا انكر حتى هذه اللحظة اننى احبها . وأرفض طلاقها

فما هو الحل ؟

وجاء عقار الهدوء بالحل .

آن تدمن زوجتى مثلما أدمى

ولكن السائل شحيح عندى . لا يكفى لي ولها . وهذا النوع غير متوافر أو موجود

بالمقاهرة . وهناك أنواع أخرى .

إذن .. تدمن هيروبين .

\*\*\*

عرفت أماكن بيع الهيروبين . واشترت كمية منه . ودفعنى الشيطان أن أضع هذا المسحوق لزوجتى فى الشاي ، فى الطعام فى أنفها وهي نائمة .  
كان الشيطان الكامن فى عقار الهدوء هو الذى يدفعنى إلى ذلك . حتى إننى فكرت  
أن أضع لطفلى قليلا من المسحوق فى غذائه .

وذات يوم .. قالت زوجتى إنها تشعر بألم فى رأسها ، وفي كل مفاصلها .

فقلت لها :

- عندي الحل .

- ما هو ؟ .

قلت : مسحوق أبيض من الأسبرين « كالنشوق » سيعيد النشاط إليك .

أعطيتها جرعة من الهيروبين . فأخذتها منهم . وشميتها . وشعرت براحة وكسيل .

وفي اليوم التالي . جاءتها نفس الأعراض فى الصباح . فاقترحت عليها إذابة  
المسحوق فى ماء وأخذه كحقنة فى الوريد .

- وصاحت زوجتى :

- حولتني إلى مدمنة يا .....

- وضحكـت كثيرا .

- لقد نجحت خطـتـى .

ورويـت لها كـيف نجـحتـ فى تحـويلـهاـ إلىـ مـدمـنةـ هـيرـوبـينـ ،ـ وـاقـترـحتـ عـلـيـهاـ آـنـ تـأخذـ  
ـالـهـيرـوبـينـ مـعـاـ بـعـدـ ذـلـكـ ..

خرجت زوجتى غاضبة ..

لم أسألها سؤالاً واحداً وهى فى طريقها إلى الباب وفى يديها طفلنا .  
ضحكـت فقط . بينما هـى تـنـظـر إـلـى بـقـرـفـ وـاحـتـقـارـ .  
وـدـخـلـت إـلـى غـرـفـة نـومـي لـأـحـقـنـ نـفـسـى بـسـائـلـ الـهـلوـسـةـ ..  
ثـمـ دـقـ جـرسـ الـبـابـ ..  
وـفـتـحـتـ بـابـ الشـقـةـ . وـدـخـلـ ضـابـطـ وـعـدـةـ جـنـودـ . وـأـمـسـكـواـ بـىـ . وـبـعـثـرـواـ مـحـتـويـاتـ  
الـشـقـةـ . وـعـثـرـواـ عـلـىـ بـقـاـيـاـ سـائـلـ الـهـلوـسـةـ . وـكـمـيـةـ ضـئـيلـةـ منـ بـوـدـرـةـ الـهـيـرـوـينـ .  
وـوـضـعـواـ فـيـ يـدـىـ الـقـيدـ الـحـدـيدـىـ .. وـأـخـذـوـنـىـ مـعـهـمـ ..

\*\*\*

علـمـتـ بـعـدـ ذـلـكـ أـنـ أـسـرـةـ زـوـجـتـىـ هـىـ التـىـ أـبـلـغـتـ عـنـ الشـرـطـةـ . عـنـدـمـاـ عـلـمـتـ بـالـجـرـيمـةـ  
الـتـىـ اـرـتكـبـتـهـاـ فـيـ حـقـ زـوـجـتـىـ .. فـإـنـ وـكـيلـ النـائبـ العـامـ قـدـ سـأـلـتـىـ عـنـ الـأـسـبـابـ التـىـ دـفـعـتـنـىـ  
إـلـىـ دـسـ الـهـيـرـوـينـ لـزـوـجـتـىـ فـيـ السـوـاـئـلـ وـالـطـعـامـ . وـلـمـ أـعـرـفـ مـاـ أـجـبـ بـهـ عـلـيـهـ ..

بـعـدـ التـحـقـيقـ . وـبـعـدـ وـصـولـ تـقـرـيرـ الـمـعـمـلـ الـجـنـائـىـ . الـذـىـ أـكـدـ أـنـ مـاـ عـثـرـ عـلـيـهـ الـجـنـودـ هـوـ  
مـوـادـ مـخـدـرـةـ . قـدـمـتـ إـلـىـ الـمـحاـكـمـةـ التـىـ قـضـتـ بـحـبسـ هـذـهـ الـمـدـةـ ..

\*\*\*

اليـوـمـ .. بـعـدـ حـدـيـثـ إـمامـ مـسـجـدـ السـجـنـ ..  
اليـوـمـ .. فـقـطـ . قـرـرـتـ الإـقـلـاعـ عـنـ كـلـ الـمـخـدـرـاتـ . وـقـرـرـتـ الإـقـلـاعـ عـنـ فـكـرـةـ الـهـرـوبـ ..  
وـقـرـرـتـ أـنـ أـقضـيـ مـدـةـ الـعـقـوـةـ مـتـنـقـلاـ بـيـنـ مـكـتـبـةـ السـجـنـ وـبـيـنـ مـسـجـدـ السـجـنـ ..

\*\*\*

ادـعـواـ اللـهـ لـىـ أـنـ يـسـاعـدـنـىـ عـلـىـ الـخـرـوجـ مـنـ أـثـارـ جـرـيمـةـ الطـبـيبـ الإـسـرـائـيـلـىـ ..  
ادـعـواـ اللـهـ أـنـ يـغـفـرـ لـىـ مـاـ قـدـمـتـهـ وـماـ اـقـرـفـتـهـ فـيـ حـقـ زـوـجـتـىـ وـفـيـ حـقـ نـفـسـىـ ..  
قولـاـ لـزـوـجـتـىـ الـفـاضـلـةـ إـنـتـىـ سـأـبـقـىـ طـوـلـ الـعـمـرـ مـدـيـنـاـ لـهـاـ شـاعـرـاـ بـالـذـنبـ .. اـدـعـواـ اللـهـ لـىـ  
فـيـ كـلـ صـلـاـةـ أـنـ يـغـفـرـ لـىـ ..  
وـأـخـيـراـ ..

هـذـهـ قـصـةـ مـنـ دـاـخـلـ أـسـوـارـ سـجـونـ الـقـاهـرـةـ .. الرـجـلـ بـطـلـ هـذـهـ القـصـةـ يـطـلـبـ مـنـ كـلـ  
الـشـيـابـ الـعـربـ أـنـ يـقـرـأـهـاـ بـإـعـانـ .. وـأـنـ يـقـرـأـ مـاـ بـيـنـ سـطـورـهـاـ حـتـىـ لـاـ يـسـقطـ فـيـ الـكـمـيـنـ .. وـإـذـاـ  
سـقـطـ فـعـلـيـهـ أـنـ يـسـرعـ بـطـلـ طـوقـ النـجـاةـ .. قـبـلـ أـنـ يـغـرقـ .. وـتـقـذـفـ بـهـ الـأـمـوـاجـ إـلـىـ الـقـبـرـ ..

\*\*\*

## ( V )

فى أحد أقسام الشرطة بمدينة الإسكندرية ، التقيت بها ، كنت فى زيارة لمأمور هذا القسم منذ أكثر من ثلاثة سنوات حيث شاهدتها .

هى سيدة شابة ، جميلة جمالاً خارقاً ، هادئة الطباع ، تتحدث بصوت منخفض ونبرات واثقة واضحة . مما دفع بمامور القسم المتدين أن يخفض رأسه فى الأوراق التى أمامه حماية لعينيه من جمالها :

— أقدم .

— كنت أشكو والدى .. وأطلب حماية الشرطة منه .

— لماذا ؟

— إنه يريد مالاً منى لا يستحقه .

— هل هو فقير ؟

— نعم .

وبتقانية وانفعال .. تدخلت فى الحديث ، قلت لها ثائراً :

— ما هذا الجيل الذى تنتمون إليه .. ما أسوأكم جيلاً .. اب فقير يريد مساعدة من ابنته التى رياها ، وأنفق عليها . فتقوم بصده . عيب يا ابنتى .

ويكت الشابة الجميلة .

وندمت لأنى تسببت فى بكاء هذه الشابة الجميلة ، وذلك لتدخلى فى قضية لا أعرف أبعادها :

— معذرة يا ابنتى .. فصمة الآبوبة هى التى دفعتنى إلى التدخل .

– لك كل الحق . ولكن صدقنى .. لقد تحملت الكثير .. وما جئت إلى هنا إلا بعد نفاد

صبرى وألهيأر هوأى .

وطلب المامور لفتاة كوباً من الليمون بارداً ، وطلب منها الهدوء وأن تروى حكايتها ..

فردت عليه :

– حضرة الضابط .. حكايتها أخجل منها .

– لا تخجل يا ابنتى .. فمجرد حديثك .. سوف يخفف من آلامك .

\*\*\*

بدأت فاطمة وهذا اسمها ، تروى حكايتها ، وهى لا تعرف جيداً من أين تبدأ

« لقد جاء والدى إلى بيتي اليوم ، وطلب منى كالمعتاد بعض المال ، لم يكن معنى ما طلب ، فتوسل إلى أن أذهب إلى جارتنى وأستدين منها ، فذهبت إلى جارتنى لا لأستدين ، ولكن لكي أهرب منه ، فلما أكره الاستدانة ، وجلست معها طويلاً ، حتى سمعت باب شقتى يغلق ، فتأكدت أنه خرج ، فعدت إلى البيت ووجدت مفاجأة مذلة : اختفاء الفيديو والتلفزيون . خرجت بحثاً عنه ، وذهبت إلى والدتنى ، وحكيت لها كل ما حدث ، فاتجهت إلى الله تطلب منه أن « يقصف » عمر هذا الرجل . وجلست مع أمى انتظاراً لوصوله ، ووصل متاخراً ، سألته عن الفيديو والتلفزيون ، فأنكر تماماً أنه أخذهما ، وبصق فى وجهى لأنى أتهم « والدى » « بسرقة محتويات شققى . وبكيت ألمًا » .

– ربما غيره هو الذى سرق ؟

فردت الشابة على المامور وهى تبكي :

– لا يا سيدى .. فهذه ليست المرة الأولى .. لقد سرق من بيته كل الأدوات الكهربائية من قبل ، وسرق مالاً ، وكل هذا ليس مهمًا ، ولكن ، لقد ثار ثورة عارمة ، استيقظ على أثرها الجيران ، ووصفنى بأوصاف يستحيل أن يصف أب ابنته بهذه الأوصاف ، إن أقل وصف كان « يا داعرة » !!!

« بكىتكثيراً .. بكىتكثيراً على تدهور العلاقة بيني وبين والدى إلى هذه الدرجة ، إلى درجة أن أرفض أحياناً مساعدته مادياً وأنا قادرة ، إلى درجة أن يدخل إلى بيته فيسرقنى ، إلى درجة أن يصفنى أبى الذى ريانى أمام حشد من الجيران بأننى داعرة !! » .

فسألها المامور :

– وأين زوجك ؟

ـ إنه يعمل نجاراً على السفن التجارية .. وهو في رحلة بأعلى البحار .. وسيعود بعد أسبوعين ، وأنا أقيم وحدي بعد استحالة الحياة في بيت أبن اثناء رحلات زوجي الخارجية .

ـ وماذا يعمل والدك ؟

ـ عاطل يا سيدي .

ـ هل عاش عاطلاً طول حياته .

ـ لا يا سيدي .

ـ يا ابنتى .. قولي كل ما لديك ..

\*\*\*

أنا ابنة المهندس فلان .

قلنا في صوت واحد .

ـ مهندس .. وعاطل !!

ـ نعم .. ومهندس كبير ..

ـ ما هي الحكاية .. من البداية .

\*\*\*

والدها ، كان مهندساً عبرياً ، تخرج في كلية الهندسة وعمره عشرون عاماً فقط ، والتحق بالعمل في إحدى شركات البناء المشهورة بالاسكندرية ، وبعد عمله بعامين فقط ، تزوج امرأة فاضلة ، أحبها ، وأحبته ، وكانت ثمرة هذا الحب طفلة جميلة ، وتوقفت الأم عن الإنجاب لسبب لا تعرفه ، ثم ذهبت إلى الأطباء واحتاروا في أمرها ، ولكن بعد عشرة أعوام ، أنجبت ثلاثة أطفال تباعاً ، وشعرت الطفلة فاطمة بأنها ليست شقيقة هؤلاء الصغار ، ولكن هي أمهم الصغيرة ، وفي نفس الوقت هي صديقة الأم .

كانت فاطمة على جانب كبير من الجمال ، والأخلاق ، فقد علمها والدها المهندس العبرى ، الخير والإيمان والتكافل . علمها والدها المهندس كل شيء نبيل في الحياة ، بل حفظت أجزاء كبيرة من القرآن الكريم ، واعتبرت أن كل آيات هذا الكتاب هي دستورها في البيت والمدرسة ومع الأقارب والصديقات ، بل في البيع والشراء .

وكان الوالدان سعيدين بفاطمة المؤمنة الجميلة العطوف الرقيقة الذكية الناجحة .  
وكأن الوالد بصفة خاصة ملحاً يتجاهله هذه الصغيرة ، وكانت كلما تحسن عملاً ، يقول :  
— لأنها تربى .

نعم .. علمها كل شيء نبيل في الدنيا ، كان يجلس معها الساعات ، يبيث فيها الفضيلة والشرف ، من خلال حكاية بسيطة ، من خلال مقال يقرأه في جريدة ، من خلال عمل في التلفزيون . حتى إنها لا تتصور الحياة بدون خير وفضيلة وأمانة وشرف .  
هكذا شبت فاطمة .

هكذا أصبحت فخراً لمن رياها .

\*\*\*

المال في البيت وفيه والحمد لله ، لا احتياجات لافتاً للنظر أو مهلكة للمال ، فدخل الوالد من عمله كبير ، احتياجات الأسرة أقل من هذا الدخل بكثير ، واستمر الحال في الأسرة هكذا حتى بلغت فاطمة الثامنة عشرة من عمرها .

جاء الوالد من الخارج سعيداً .. منتشياً .. يضحك بلا سبب .. ولأول مرة يحتضن زوجته بطريقة مثيرة أمام أولاده الثلاثة .. حتى إن الأم قالت له ، بغضبه :

— هل جنتن ؟  
فرد عليها قائلاً :  
— بل أشتھيك .

فتحت الأم ثورة عارمة على هذه البداءة والسلوك الغريب أمام الأولاد .

\*\*\*

تقول فاطمة لمامور القسم :

— كانت العلاقة العاطفية بين أمي وأبي خاصة للغاية ، بل لا اتصور أن يكون بينهما علاقة زوجية ، من شدة خصوصية وسرية واحترام هذه العلاقة ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها هذا النوع من الابتذال ، لم أكن أعرف — أيامها — له تفسيراً ، ولكن أعرف تفسيره اليوم .

\*\*\*

دخل الزوجان إلى غرفة نومهما .. وقال الزوج لزوجته :  
— أرجوك .. لا أريد افساد هذه الليلة .. فهذه الليلة أشعر بسعادة جارفة .. وأشعر

بالرغبة الشديدة .. كما لم أشعر من قبل .

— ماذا حدث ؟

— كنت في أحد المواقع .. وأعطاني صديقي « نشوق » جاء به من أمريكا .. وأخبرني أن هذا « النشوق » يريح الأعصاب ..  
ثم قال ضاحكاً :

— وينعش من جديد الحياة الزوجية .

ثم أضاف المهندس :

— إنه بودرة ولا بودرة العفريت .. لونها يميل إلى البنى .. « نشوة » واحدة تحدث في الجسم نشاطاً ورغبة بسرعة كالسحر .. ينسيك الإرهاق والتعب .. ليتنى جئت لك « بنشوة » أمريكية .

كان ذلك عام ١٩٨٠ ، وهذا « النشوق » هو مسحوق الهيروين ، وكان الزوج صادقاً في قوله ، كان يتصوره مسحوقاً بريئاً لا عيب فيه ، فهو يذكر أن جدته كانت تضع في جيبها « علبة معدنية صغيرة » بها مسحوق ، تستنشق منه « فتعطس » وتستريح ، وكان يتصور أن هذا مثلك .

فالهيروين – عام ١٩٨٠ – كان في بداية انتشاره في مصر والبلاد العربية ، وكان انتشاره محدوداً ، وكانت كافة أجهزة الإعلام في غفلة تامة عنه ، فلم تشر إلى خطورته ، ربما لو كانت وأشارت إلى خطورته ما كان مهندس شاب نابه تناوله على الإطلاق ، لأنه يتصور أنه مسحوق « نشوق جدته » .

\*\*\*

في اليوم التالي جاء الزوج ، وهو في غاية النشوة من عمله ، بل إنه شكر صديقه المهندس الذي جاء من أمريكا ومعه هذا المسحوق ، بل إنه عرض شراء كمية تكون معه ، فلا يعقل أن « يستنشق » هذا « النشوق » يومياً بالمجان ، فاشترى منه كمية بألف جنيه .

نصحته زوجته أكثر من مرة أن يسأل عن الآثار الأخرى لهذا المسحوق ، ولكنه لم يسمع هذه النصيحة ، كان المسحوق قد تمكّن منه ، فلم يعد يتمكّن من تناول فنجان الشاي في الصباح قبل أن يشم شمة هيروين ، وقال لزوجته :

— ليس سملك نصيحتك .. وسألت هل لهذا المسحوق ..  
— لماذا ؟  
— ذاكرتى التى كانت لا تخوننى .. خانتنى !  
— وماذا ؟  
— وأشعر بكسل شديد .. فى كل شيء حتى العمل ..  
— وماذا ؟  
— لا أشعر بحماس لشيء .. وانتابتى حالة من الاكتئاب .. ولم أعد مرحأ كالسابق ..  
— فأضافت الزوجة :  
— ولم تعد تهتم بمظهرك .. ولا ب الغذائيك .. بل ولا أسرتك .. ولا بفاظمة التى كنت تحبها حباً كبيراً ..  
— هذا صحيح ..  
— اذن توقف ..  
— ونظر إليها متوصلاً ..  
— ولكن .. كيف ؟  
— فقلت الزوجة ..  
— هكذا ..

وأخذت العلبة من أمامه .. وألقتها من النافذة ، وهنا ثار ثورة عارمة ، حتى إنه صفع زوجته على وجهها لأول مرة في حياته ، وخرج كالجنون ، هابطاً سلم البيت إلى الشارع بحثاً عن علبة الهيروين ، ووقفت الزوجة وهي في دهشة من هذا التصرف لزوجها الذي أصابه الجنون لإلقاء تلك العلبة في الشارع ..

وعاد الزوج حزيناً .. وهو يكاد يبكي على ضياع العلبة ..

\*\*\*

عرف الزوج أن هذا المسحوق « هيروين » ، وعرف سوقه الوحيد في القاهرة ، والغريب أن هذا السوق بجوار أكبر صرح إعلامي في الشرق الأوسط كله . بجوار مبنى تلفزيون القاهرة ، ليشتري ما يحتاجه من الهيروين . حتى انتقل الهيروين إليه في الإسكندرية ، وأيضاً كان سوقه بجوار قصر رأس التين ..

\*\*\*

أنفق الزوج المهندس كل مدخلاته خلال عام واحد فقط على الهيروين ، وساعت علاقته بأسرته ، كان - مثلا - يصر على تناول العشاء مع الأسرة كلها ، وكان على مائدة الطعام يتتحدث إلى أبنائه ، يبيث فيهم الفضيلة والشرف ، اليوم ، لا يعود إلى البيت إلا في وقت متأخر جداً ، حتى يوم الجمعة ، والذي كانت تعتبره الأسرة عيداً أسبوعياً ، حيث يصر المهندس على إعداد طعام الإفطار للأسرة ، ثم يوقظ الجميع بمداعبات أبوية غالية في الحنان والرقة ، ثم يأخذهم في رحلة خارج الإسكندرية ، لا يتركهم إلا وقت صلاة الجمعة ، ويعود إليهم ، في حالة نشوة وسعادة وصلاح .

اليوم .. أصبح يوم الجمعة من أسوأ الأيام ، فهو يستيقظ متأخراً ، وعندما يستيقظ ، تبدأ الخلافات مع زوجته ، ويثور ..

بل .. بدأ يشك في سلوك زوجته الفاضلة .. الفاضلة أبداً .

بل .. تحول الشك إلى لفاظ نابيء لا يقولها إلا سوقي جاهل .

\*\*\*

لم تعد الأسرة تملك مدخلات ولا سيارة ولا تلفزيوناً ، ولا أجهزة كهربائية .. لقد باع الزوج كل هذا .. ولم يعد مرتبه كافياً للغذاء والهيروين معاً .. ثم كان يوم .. لقد جاءت للمهندس رسالة فصل من عمله ، لأنـه كـاد أن يـتسبـب فيـ كـارـثـة ، بـالـمواـصـفـاتـ الـتـىـ وـضـعـهـاـ لـلـمـسـتـشـفـىـ الـجـدـيدـ ، وـأـنـ رـسـوـمـاتـهـ أـدـتـ إـلـىـ خـسـارـةـ لـلـشـرـكـةـ تـقـدـرـ بـالـمـلـاـيـنـ ، وـلـأـنـ الشـرـكـةـ تـخـشـىـ عـلـىـ سـمعـتـهاـ فـضـلـتـ الـاـكـفـاءـ بـفـصـلـهـ عـنـ الـعـمـلـ ، دـوـنـ تـقـدـيمـهـ إـلـىـ النـيـابـهـ بـأـكـثـرـ مـنـ تـهـمـةـ أـبـسـطـهـ إـلـهـامـ .

\*\*\*

لم يعد للأسرة مورد ، وهنا قررت فاطمة أن تعمل لتعول أمها وأختها ، وكان جواز سفر عملها هو إتقانها للفرنسية والإنجليزية حيث تعلمت في مدارس لغات ، وفوق كل هذا جمالها الخارق ، عملت سكرتيرة لمدير شركة كبرى وبمبلغ كبير من المال يكفي احتياجات الأسرة .

\*\*\*

لنترك فاطمة تروي بنفسها .. يوم استلامها المرتب الكبير وعودتها سعيدة إلى البيت ..

- بابا .. لقد حصلت على مرتبى .

وطلب الوالد من ابنته مائة جنيه من مرتبها ، لقد أصابها القلق والسعادة في نفس الوقت . القلق لأن والدها الذي كان عظيماً ، والذي كان مثالاً للعطاء ، يمديده لابنته ليأخذ منها مبلغاً من المال ، وهو الذي كان يعدها بقصر عندما تكبر ، والسعادة لأنها تتمكن الآن من رد بعض من العطاء الذي أعطاها إياها .

أخذ المهندس المائة جنيه .. وجرى إلى الخارج ، وسلمت باقى المرتب للأم التي بكت لأن ابنتها تركت كلية الآداب وتعلمت لتعول أسرة فسد عائلتها .

\*\*\*

استمر حال الأسرة على هذا المنوال ، الفتاة الجميلة فاطمة تتفق على البيت وعلى لوالدها ، وفي نفس الوقت كانت تواجهها مشكلة في العمل . ان المدير يراودها على شرفها ، كانت مشكلة مقلقة ، فهي لا تستطيع أن تترك عملها ولا ضاعت الأسرة ، وخاصة أنها تشعر بأنها أم لأخواتها ، وإذا استمرت في رفض رغبة المدير فقد تفقد وظيفتها ، وهي لا تعرف لمن تشكو ، اذا لمحت بهذا الأمر لوالدتها ، فسوف تبقيها فوراً في البيت . ورأت لوالدها ما يحدث لها من المدير ..

وكانت مفاجأة مخيبة !!

لقد ثقى الوالد الخبر بدون اكتراث .

ثم كانت المفاجأة الثانية : عندما قال :

ـ هذا من حق المدير على سكرتيرته الحسناء .. إياك يا فاطمة أن يركب العناد رأسك وتتقدى الوظيفة التي لم يعد لنا مورد غيرها .

وتفركت فاطمة والدها .. وجرت في الشارع .. تبكي .. لقد انهار الأمل .. لقد تحطم العملاق .. هل يمكن أن يتتحول الوالد ، الذي غرس في فاطمة الضمير والكرياء والحفظ على الشرف ، إلى بقايا إنسان لا يهمه حتى شرف ابنته ، ولكن المهم أن يحصل على هذا المسحوق الملعون .

أثناء ركضها في الطريق .. لا تعرف إلى أين تذهب .. اصطدمت بشاب .. فسقطت على الأرض .. فساعدها على النهوض .

نعم .. ساعدتها على النهوض .

ولا تدرى .. هل يمكن لهذا الشاب أن يساعدها على النهوض في الحياة نفسها .

ونهضت فاطمة ..

تعرفت فاطمة على هذا الشاب ، وروت له باختصار مأساتها ، وأحسست أنها سوف تتنهض معه . وأسرعت في تعميق العلاقة عندما علمت ببنبل أخلاقه ، فهو سوف يوفر لها عدة أشياء .. سيحميها من المدير .. سيتركها تساعد أسرتها .. وسوف يقدم لها الحماية من أبيها .

ذات يوم .. كانت بالمنزل في الصباح .. أحسست بوعكة .. فأخذت إجازة من العمل .  
وسألها والدها عن سبب عدم ذهابها إلى عملها الذي أصبح هو وحده أكثر الناس حرصاً عليه .. فقالت له مداعبة :  
– فصلنى المدير .

وتحول الرجل الذي كان وقوراً إلى وحش كاسر .. وأمسك بابنته :  
– اذهب إلى فوراً .. توسل إلى .. أعطيه كل ما يريد .. من أجل أمك .. من أجل أخوتك .. من أجلى .. اذهب يا فاطمة .  
– اذهب للخطيبة ..

ما أرادت فاطمة أن تسمع إجابته ، تركت له الغرفة ، وذهبت إلى غرفة أخرى وأغلقت خلفها الباب .

ثم جلست تكتب رسالة من فتاة مجھولة إلى إحدى الصحف .. تطالب فيها بضرورة إعدام تجار المخدرات .. فهم وراء معظم الجرائم .. وخاصة الجرائم المخلة بالشرف .. خجلت أن تروي روايتها ولكنها كتبت الرسالة بحماس خاص .. ونشرت الصحيفة رسالة فاطمة . ولكنها لا تدري حتى الآن لماذا لم تستجب الحكومة لهذا النداء .

\*\*\*

تزوجت فاطمة في حفل كثيف ، وكأنه زواج سرى ، واستمرت في الإنفاق على أسرتها ، وساعت حالة والدها ، ولم يعد يتعاطى الهيروين لارتفاع سعره ولكنه أصبح يتعاطى الماكستون فورت ، وكل همه في الحياة الآن أن يحصل على ثمن الماكستون فورت ، وفي سبيل ذلك فإنه يحضر إلى ابنته وخاصة في غياب زوجها ، ليأخذ منها بالإكراه المال الذي يكفيه لشراء « حقنة الماكستون فورت » ، وأنه كثيراً ما جاء ليتشاجر معها .. ويرميها بأ بشع النوع .. مما جعلها تخجل من جيرانها .. بل من زوجها .

\*\*\*

## انتهت فاطمة من سر حكامتها ..

قلت لها :

ـ لماذا لا تحاولون علاجه ؟

ـ حاولنا أكثر من مرة .. ولكنـه كان يخرج من المستشفى .. ليعود مرة أخرى .. وخاصة أنه يخرج ليبحث عن عمل ، ولكن كل الشركات ترفض توظيفه .. فإنـ كارثته أنه كان مشهوراً جداً في مجال عمله .. لذلك عندما أصابه الإدمان .. أصبح أيضاً مشهوراً في ميدان عمله بأنه المهندس الذي فصل من عمله بسبب إدمانه .. والشركات ليست حقل تجارب . فيصاب بالإحباط بعد أول زيارة لـ أحد هذه الشركات ولا يعود إلى البيت .. ولكنه يتوجه إلى أوكار السائل القاتل.

وأخذ المأمور منها عنوان إقامتها ، وعنوان اقامة والدها ، ووعدها بأنه سيبذل جهده لحمايتها ، وانصرفت الشابة الجميلة .

\*\*\*

بعد عدة أيام من هذا اللقاء .. اتصل بي صديقـ المأمور .. وهو سعيد جداً .. قائلاً :

ـ هل تذكر الشابة الجميلة ؟

ـ نعم ..

ـ لقد وجدنا والدها ميتاً في أحد أوكار الماكستون فورـ .. أراح واستراح .

\*\*\*

آسف يا سادة ! ..

لقد حزنت على هذا الرجل .. لا أدرى لماذا ؟ .. ربما لأنـه علم ابنته الجميلة القيم السامية .. غرسـها في نفسها .. أيقـظـ فيها الضمير .. فاصبح ضميرـها متـيقـظـاً دائمـاً .. حتى عندما طالـبـها بـأنـ تتخـلى عـما عـلمـه لـها ، رفضـت .. وبـكت .. لأنـ الدرسـ كانـ منـ رجلـ نـبيلـ مـثالـي .. حولـهـ الـهـيـرـوـينـ إـلـىـ دـيـوثـ !!

\*\*\*

سألـتـ المـأـمـورـ .. كـيـفـ مـاتـ ؟

قالـ : بالـسـكـتـةـ القـلـبـيـةـ .. لا بدـ أنـهـ حـصـلـ عـلـىـ جـرـعـةـ كـبـيرـةـ أوـ نـوـعـ مـغـشـوشـ ..

ـ ثمـ أـنـهـ حـدـيـثـ ..

— إنها نهايتهم .. هذه ليست المرة الأولى التي يموت فيها مدمn — إنهم يموتون كل

يوم .

\*\*\*

يموتون كل يوم .. كيف ؟

يقول الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسي : بعض المدمنين يموتون فجأة بدون سبب ظاهر ، أو بسبب التسمم الحاد بالجرعة الكبيرة ، حيث يفقد السيطرة على نفسه ، والمشكلة أن المتعاطى لا يعرف بالضبط الجرعة أو التركيز في الكمية التي يتعاطها ، فالامر يختلف هنا عن العقاقير التي تصنف لأعراض طبية ، حيث تعرف تركيز المادة المخدرة ، ومن ثم تحسب الجرعة حسب سن وزن المريض ومدى احتياجاته للعقار . فالدمn باش يستنشق أو يبتلع أو يحقن نفسه بمواد لا يعرف تركيبها الدقيق ، ولا يعرف تركيز المادة الرئيسية فيها ، وكل المواد التي تباع للناس فى أي مكان مغشوشة ، فالتجار يريد أن يحقق أكبر ربح ، وكل الظروف مهيبة له ، لكي يغش ، فهو أولاً بلا ضمير ، بل هو أسوأ خلق الله فى الأرض ، والغش سمة أساسية فى سلوكه ، تعاملاته ، بل وعلاقاته ، ويظل يغش ويغش إلى الحد الذى بعده لا يملك أن يغش وإلا بارت تجارته ، ثم أن المشتري يحتاج بشدة ، ويشتري فى الظلام بعيداً عن مواد القانون والشرطة ، وعلى استعداد أن يدفع أى ثمن ويأخذ « البضاعة » دون فحصها ، بل أنه يشتريها وهو يعلم أنها مغشوشة ، ويمكن أن يقبل وهو ذليل النفس ، والشوائب عادة هي سبب الموت المفاجئ ، وكل الشوائب لها تأثير على القلب كالأسبرين ، والسكر وكل المواد التى تخلط بالهيروبين ، والموت قد يحدث بسبب مضاعفات خطيرة ، تحدث للمتعاطى الغيبوبة ، وقصور الدورة الدموية عن الوصول للمخ وحدوث مضاعفات عصبية خطيرة مثل العته والشلل والتهابات المخ . وهذه المضاعفات تؤدى إلى الموت .

\*\*\*

نسبة غير قليلة من المدمنين يموتون ، لا فرق بين هؤلاء وبين الذين يتتحررون — يضيف الدكتور عادل صادق — يموت الدمن وهو أيام الناس وأتعسهم ، يموت وهو ينادي من أجل المساعدة ، يموت وهو يعاقب بيامانه وهلاكه هؤلاء المحبيطين به ، يموت وهو يبحث عن السعادة الضائعة .. فهو إن حصل على زيفها اليوم ، فإنه يموت بسببها غداً .

\*\*\*

نعم .. حزنت على الرجل .. وبالتأكيد حزنت عليه ابنته فاطمة الجميلة .. فلقد عاش

سنوات مفتقرًا إلى السعادة التي أقامها .. وعاش وهو يرى نفسه نليلًا أمام ابنته .. عاش

وهو يرى ما كان يحلم به لن يتحقق .. أن يبني لفاطمة قصرا .. أن يكون سندًا لها وسط غابة الحياة .. أن يكون دفاعها ومسكنها وحصنها .. أن يرى الصغار وقد شبوا .. وقد كبروا .. وعملوا .. أن يرى نفسه وقد أصبح مصدر فخر لأسرته .. لا مصدر عار ..

أكيد - يا سادة - مات هذا الرجل .. كلباس ما يكون الرجال .

أكيد - يا سادة - مات هذا الرجل .. وفي كل خلية من جسده كمية من الحزن تكفي نصف العالم .

أكيد - يا سادة - أنتا فقدنا مهندساً عبقرياً ، قتله الإدمان .

والغريب - يا سادة - أنه حتى الآن لا نعدم تاجر مخدرات واحداً ، بينما هو يقتل - وأمام أعيننا - عشرات من شبابنا .

رحم الله المهندس الضحية .. ولعن الله النشوق الأميركي !!

\*\*\*

## **خاتمة**

لا أملك في نهاية هذه المأسى .. إلا أن أقول .. قول رسول  
الله صلى الله عليه وسلم :

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

«قريباً تصدر المجموعة الثانية»

**توزيع**  
**مؤسسة الجريبي للتوزيع والاعلان**  
الرياض ٤٠٢٢٥٦٤ - جدة ٦٨٢٦١ - الدمام ٨٢٧١٨١١